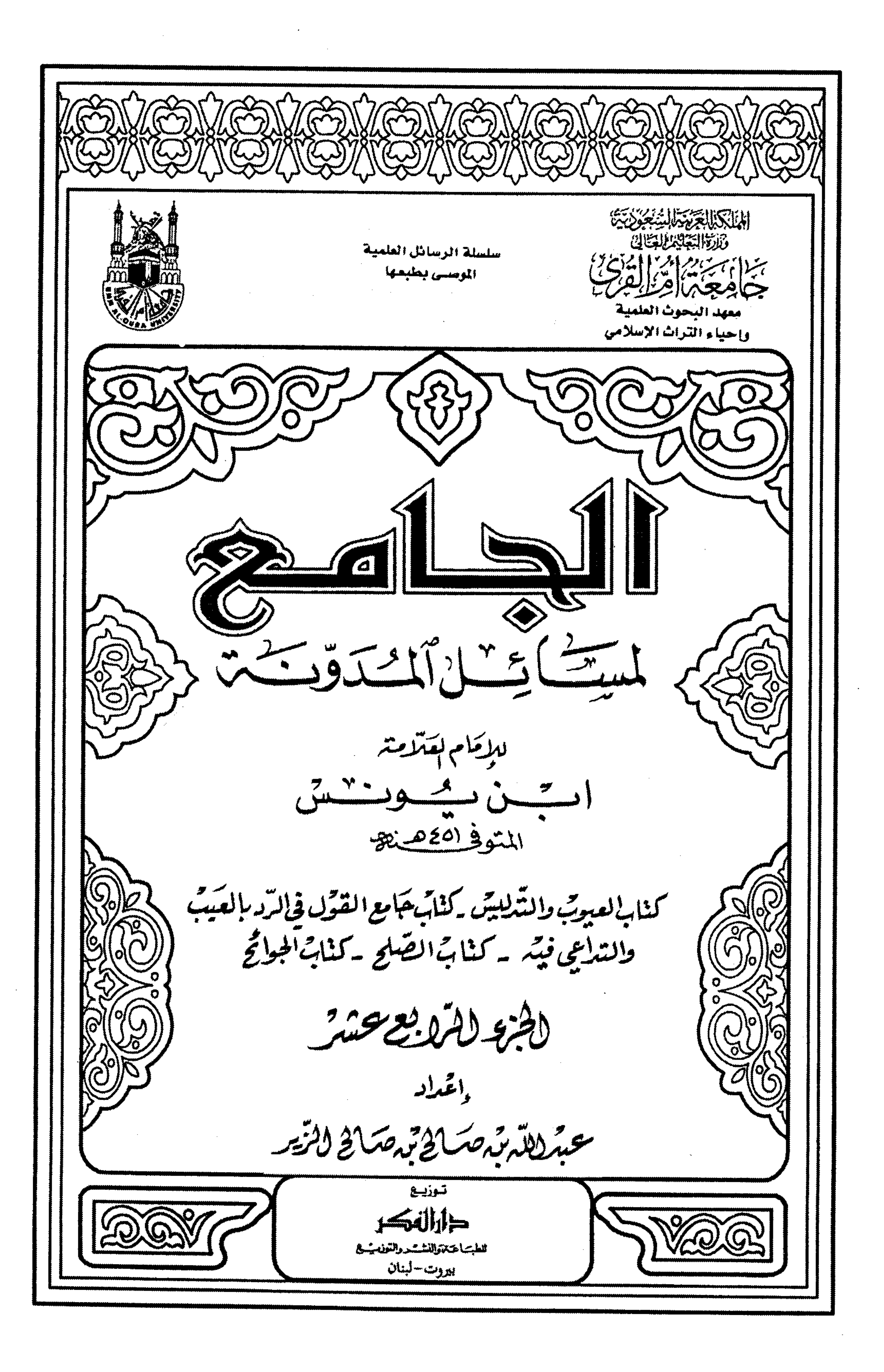


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
وإحياء التراث الإسلامي

سلسلة الرسائل العلمية
الموصى بطبعها

الجامع لمسائل المدونة

للإمام العلامة
ابن يونس
المتوفى ٤٥١ هـ

كتاب العيوب والتدليس - كتاب جامع القول في الرد بالعيب والتداعي فيه - كتاب الصلح - كتاب الجوائح

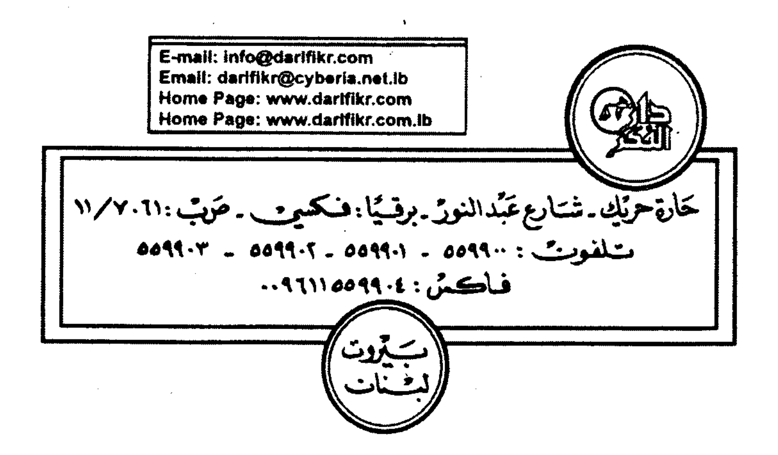
الجزء الرابع عشر

إعداد
عبد الله بن صالح بن صالح الزير

توزيع
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
1434 هـ - 2013 م

توزيع دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم الدراسات العليا الشرعية فرع الفقه وأصوله - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى.

المقدمة

الحمد لله المنعم بهدايته ، المتمم لنعمته ، المتفضل على جميع بريته ، أحمده على جميع آلائه ، وسوابغ نعمائه ، حمدَ مُقِرٍّ بربوبيته ، عارفٍ بوحدانيته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله إلى كافة خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلّغ رسالته ، وأدى أمانته ، فهدى به من شاء بفضله ، وأضلّ من خذله بعدله ، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم[1] .

أما بعد : فلقد جاءت الشريعة الإسلامية نظاماً كاملاً ،ومنهاجاً شاملاً ، حوت من العقائد أصحها وأسلمها ، ومن العبادات أيسرها وأسمحها ، ومن المعاملات أصلحها وأقومها ، ومن الأخلاق أزكاها وأشرفها ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[2] ويقول سبحانة : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[3] ويقول سبحانه : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾[4] .

وإن من أجل علوم الشريعة ، وأعظمها قدراً ، وأرفعها ذكراً ، وأكثرها فائدة علم الفقه الإسلامي الذي هو معرفة الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية هذا العلم الذي بسط سلطانه على حياة المسلمين عبر القرون ، وأصبحت المجتمعات الإسلامية تفزع إلى فقهائها في كل ما ينزل بساحتها من حوادث ، وما يعرض لها من مسائل ، واستطاع الفقهاء أن ينشؤا فقهاً متكاملاً وافياً يغطي حاجات المسلمين ، ويقدم حلولاً ناجعة لكل ما يستجد في حياتهم من أمور تحتاج بيان حكم الله فيها .

وظل الفقه الإسلامي مع ما طرأ من حوادث ومتغيرات ، وما استجدّ من أمور واكتشافات علماً نابضاً بالحيوية ، مشرقاً بالضياء ، كفيلاً بحل كل ما يجد من نوازل وقضايا ومشكلات ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هيأ في كل عصر رجالاً حملوا مشعل هذا الدين ، وأضاؤا للناس طريقهم ، وبذلوا جهوداً مضنية في استنباط الأحكام الفقهية من مصادرها الأساسية ، ومنابعها الأصلية ، وحرروها وصاغوها حتى أصبحت المكتبات العامة والخاصة تزخر بكمية ضخمة من الذخائر الفقهية التي هي كنوز

---

(1) الافتتاحية بنصها ولفظها مقتبسة من افتتاحية الإمام ابن يونس لكتابه الجامع لمسائل المدونة وشرحها وذكر نظائرها وأمثالها .

(2) سورة الأنعام ، من الآية (٦) .

(3) سورة النحل ، من الآية (٨٩) .

(4) سورة المائدة ، من الآية (٣) .

ادخرت لصالح هذه الأمة ، ولكن كثيرا من تلك الكتب النفيسة والمدونات الثمينة بقيت حبيسة خزائن المخطوطات ، بعيدة عن أيادي طلبة العلم مع الأهمية البالغة لها لما تنطوي عليه من مادة علمية مهمة في المجال الفقهي .

وكتاب "المدونة" لعبد السلام بن سعيد التنوخي المعروف بسحنون كتاب مرموق المنزلة ، عظيم المنقبة ، معدود من المصادر الأولية الأصلية المعوّل عليها في الفقه المالكي بل هو عمدته وأمه ، ظل الفقهاء يتدارسونه ويشرحونه ، ويعلقون عليه ، ويختصرونه عبر القرون ومن ثمَّ ليس من المبالغة في القول أن أقول : إن المدونة قد حظيت بنصيب وافر من الدراسات العلمية التي قامت عليها لم يحظ بها كتاب فقهي فيم أعلم ، وهذا مما يدل على مدى عناية فقهاء المذهب بها .

ولكن معظم هذه الدراسات مع عظيم قدرها وشأنها في المذهب المالكي مرَّ عليها قرون ، وأضحت في طي الكتمان أو الضياع ، ولم يبق لها أثر أو وجود ، وبقي طائفة منها في صورة مخطوطات غشيها غبار الزمن ، وأصبحت مطمورة في ركام التاريخ ، وتحتاج إلى أيادٍ أمينة تعمل على دراستها وتحقيقها ، حيث تحمل في مثانيها فقهاً أصيلاً ، و علماً كثيراً ، يمتاز بقرب عهده من القرون المفضلة ، ويستقي مادته من منابعها الأصلية .

ولعل من أجل تلك الدراسات ، وأعظم تلك الشروح التي قامت على المدونة كتاب "***الجامع لمسائل المدونة وشرحها وذكر نظائرها وأمثالها***" للعلامة محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي المتوفي سنة (٤٥١هـ) .

وكان من توفيق الله لجامعة أم القرى أن بسطت اليد لتحقيق تراث صالح سلف هذه الأمة ، وإخراج عيون التراث الإسلامي فوجهت الدراسين فيها إلى تحقيق تلك الكنوز الدفينة ، والجواهر المخبوءة ؛ ليزاح عنها ركام الغبار ، وتظهر إلى عالم النور.

وظل "مصحف المذهب المالكي" وهو اللقب الذي أطلقه المالكيون على كتاب الجامع لابن يونس رهين خزائن المخطوطات ، نادر الوجود ، عزيز المنال والتداول بين

الدارسين ، حتى قيض ا لله قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى ممثلاً في فضيلة الاستاذ الدكتور / عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان فقام بطرح الكتاب للتحقيق بين طلبة الدراسات العليا ليكون أول شرح يخرج للمدونة ، وكان من توفيق ا لله لي ، ونعمته عليّ أن اشتركت مع ثلة من الباحثين لدراسة وتحقيق هذا السفر القيم النفيس ، للحصول على درجة الدكتوراة في الفقه الإسلامي ، وكان نصيبي منه القسمَ الثاني من البيوع ، وهو يشتمل على الكتب التالية :

١- كتابِ العيوب والتدليس .

٢- كتابِ جامع القول في الرد بالعيب والتداعي فيه .

٣- كتابِ الصلح .

٤- كتابِ الجوائح .

٥- كتابِ الجعل والإجارة .

٦- كتابِ المساقاة .

٧- كتابِ القراض .

٨- كتابِ الأقضية .

٩- كتابِ آداب القضاة .

أسباب اختيار الموضوع :

هناك أسباب دفعتني إلى المشاركة في تحقيق ودراسة كتاب الجامع يمكن إيجاز أهمها فيما يأتي :

١- الرغبة الصادقة في ممارسة التحقيق ، وخوض غماره ، والنفوذ إلى أعماقه ، ومعايشة مشكلاته حيث أن معرفة علم التحقيق من الأمور التي يحتاجها كل من له صلة بكتب التراث ، هذا وقد كان موضوع رسالتي في الماجستير موضوعاً انشائياً بعنوان (الإشتباه وأثره في العبادات) فَهَفَتْ نفسي إلى أن يكون موضوع رسالتي في الدكتوراه تحقيقاً حتى أجمع بين الطريقتين .

٢- إن كتاب الجامع لابن يونس التميمي كتاب منيف الشأن ، سامي المكانة ، قَمِنٌ بالدراسة والتحقيق لما اكتسبه من أهمية بالغة في المذهب المالكي تمثلت في اعتماد المتأخرين لترجيحاته .

٣- إن كتاب الجامع لابن يونس يعد من المصادر المهمة في المذهب المالكي ؛ لأنه حوى أقوال أئمة الفقهاء المالكيين السابقين حيث ضمَّنه مؤلفه كتاب "النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات" ، وغيره من الكتب .

٤- إن كتاب الجامع يعد من المصادر الأولية في المذهب المالكي ، حيث أن مؤلفه توفي سنة (٤٥١هـ) ، والكتب المطبوعة في هذه الفترة قليلة ، مع أهمية هذه المرحلة في دراسة المذهب المالكي .

٥- اتّسم كتاب الجامع بالاهتمام في مجمله بالدليل والتوجيه والتعليل لمعظم المسائل التي أوردها ، كما أشار إلى جملة من الفروق ، وهذا أمر مهم يحتاج إليه الفقه المالكي حيث يظهر على كثير من كتبه الافتقار إلى الدليل .

٦- إن كثيراً من المؤلفين المتأخرين في الفقه المالكي عولوا على كتاب الجامع ، وأكثروا من النقل عنه ، وهنا تظهر الحاجة الملحة لظهوره وتداوله .

٧- إن ابن يونس مؤلف الكتاب أحد العلماء الذين حققوا الفقه المالكي ، وبذلوا جهوداً مضنية في سبيل إشادة صرحه على أسس متينة كما يشهد له كتابه الحافل "الجامع" ، وأيضاً أحد أعمدة الترجيح في المذهب ، وما سُطّر عنه في كتب التراجم من أسطر قليلة لم يكشف لنا عن شخصيته ، وطبيعة هذا البحث تتطلب دراسة شخصية هذا الجهبذ .

الصعوبات التي رافقت عملية تحقيق الكتاب :

لقد عنّت لي صعوبات شائكة أثناء مسيرتي العلمية مع هذا الكتاب كادت أن تثنيني عن المضي في تحقيقه غير أني استعنت با لله ، وصممت على المضي في هذا العمل مهما كلفني من وقت وجهد ، ولعل من أبرز تلك الصعوبات ما يلي :

١- إن مخطوطات هذا الكتاب ومصادره تبعثرت في عدة مكتبات وخزائن ، ولقد عانيت معنوياً ومالياً في سبيل الحصول على صور منها حيث قمت برحلة علمية دامت شهراً تنقلت فيها بين أشهر مراكز المخطوطات في كل من الرباط ، وفاس ، ومكناس ، وتونس والقيروان والقاهرة .

٢- إن معظم مصادر المؤلف التي اقتبس منها مادة كتابه ما يزال مخطوطاً وهذا أمر فيه صعوبات عدة ، بدءاً بالتعرف عليها ؛ لأن المصنف لم يصرح ببعضها ، وتثنية بالحصول عليها ، وانتهاء بالصعوبة البالغة في التوثيق منها ، وبخاصة إذا كان ذلك المخطوط يقع في أجزاء متعددة كالنوادر والزيادات حيث أن قسم البيوع فيه يقع في ثمانية مجلدات ، يضاف إلى ذلك أن تقسيم كتاب الجامع يختلف عن تقسيم كتاب النوادر المستفاد منه من حيث الكتب والأبواب والفصول ، وهذا يتطلب جهداً ووقتاً مضاعفاً .

٣- صعوبة فهم النص في بعض المسائل التي يوردها المؤلف ، وهذه الظاهرة لازمتني في عدة مواطن في الكتاب .

٤- يذكر المؤلف بعض الأعلام بصورة مبهمة تحتمل معها عدة أشخاص كابن أبي أويس وابن لبابه ، وعبد الملك ، وأبي الحسن حيث يشترك في هذا الأسماء أكثر من شخص .

٥- استشهد المؤلف في كتابه بعدد وافر من الأحاديث والآثار ، وقد عانيت في تخريج بعضها وذلك لأن المؤلف يوردها في كتابه بالمعنى ، وإيرادها بهذه الطريقة يزيد من صعوبة تخريجها أو عزوها .

٦- أورد المؤلف بعض المصطلحات العرفية والتي لم أجد لها أثراً في كتب اللغة أو كتب المصطلحات الفقهية .

خطة البحث :

هذا وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أرسم خطته في مقدمة ، وقسمين على النحو التالي :

فأما المقدمة فقد تكلمت فيها عن مكانة الفقه الإسلامي ، وأهمية تحقيق كتبه ، وعن أهمية كتاب المدونة وشروحها ، وبخاصة كتاب الجامع لمسائل المدونة ، وعن أسباب اختياري المشاركة في تحقيق هذا الكتاب ، والصعوبات التي واجهتني في تحقيقه، وعن خطة البحث .

أما القسم الأول : وهو قسم الدراسة ففيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التعريف بالإمام ابن يونس .

وقد انتظم هذا الفصل في أربعة مباحث :

المبحث الأول : عصر الإمام بن يونس : تحدثت فيه عن عصر الإمام ابن يونس السياسي والإجتماعي والإقتصادي والثقافي .

المبحث الثاني : حياة الإمام ابن يونس الذاتية : تكلمت فيه عن اسمه ، ونسبه ومولده .

المبحث الثالث : حياة ابن يونس العلمية .

وتكلمت فيه عن نشأته العلمية وشيوخه ، وتلاميذه .

المبحث الرابع : مكانة ابن يونس العلمية ، ومؤلفاته .

المبحث الخامس : ثناء الناس عليه ، ووفاته .

الفصل الثاني : في دراسة كتاب الجامع .

وهو يشتمل على أحد عشر مبحثاً وهي كالتالي :ـ

المبحث الأول : عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف .

المبحث الثاني : السبب الباعث على تأليف الكتاب .

المبحث الثالث : منهج بن يونس في الجامع .

المبحث الرابع : منهج ابن يونس في عرض المادة الفقهية .

المبحث الخامس : أسلوب الكتاب .

المبحث السادس : مصادر الجامع .

المبحث السابع : مصطلحات ابن يونس .

المبحث الثامن : تقييم الكتاب .

المبحث التاسع : أهمية الكتاب ومنزلته العلمية .

المبحث العاشر : أثر الجامع على المصنفات المالكية .

المبحث الحادي عشر : تأثيره الفكري والثقافي على الاتجاهات الفكرية في الدراسات الشرعية .

الفصل الثالث : تاريخ المدونة والمختلطة وشروحها ومختصراتها والتعليقات والتنبيهات عليها .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تاريخ المدونة والمختلطة .

المبحث الثاني : الشروح والمختصرات والتعليقات والتنبيهات على المدونة .

القسم الثاني : قسم التحقيق .

وقد بيَّنت فيه النسخ التي اعتمدتها في التحقيق ، ووصفها ، ثم عرضت لمنهجي في التحقيق ، ثم استعنت با لله ، وشرعت في تحقيق الكتاب .

هذا وفي نهاية المطاف وبعد أن منَّ ا لله عليّ بإنجاز هذا البحث أتوجه إليه جلّ وعلا بالحمد على أن وفقني لذلك ، وعلى سابق نعمته أن هداني للإسلام ، وهيأ لي سبل سلوك العلم الشرعي ، وأشكره جَلَّت عظمته . استِدْراراً لوابل فضله ، واستمناحاً لجوده وكرمه ، إنه لا يفتقر من كفاه، ولا يذلُ من عاداه ، ولا يضل من هداه .

ثم اسأله سبحانه أن يحفظ لي والدي اللذين كان لهما الفضل بعد ا لله فيما وصلت إليه ، وذلك بحسن رعايتهما وتوجيههما ، وصادق دعائهما لي بالتوفيق والنجاح والفلاح ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يمدهما بالصحة والعافية ، وأن يجزيهما عني خير الجزاء .

كما أزجي الشكر الجزيل والثناء الجميل لجامعة أم القرى ممثلة في إدارتها وفي عمادتي كلية الشريعة والدراسات العليا ، كما أشكر القائمين على الدراسات العليا الشرعية ممثلة في رئاستها وأساتذتها الأفاضل ، ومعهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بالجامعة ، وأشكر الجميع على جهودهم المخلصة في رعاية الدارسين والباحثين.

واعترافاً بالفضل لأهله ، وبالإحسان لذويه أسجل هنا كلمة شكر ووفاء لشيخي فضيلة **الأستاذ الدكتور / محمد بن العروسي عبد القادر** ـ حفظه ا لله ـ الذي أشرف على هذه الرسالة بسداد توجيهه وحسن رعايته ، وبذل الوسع في ذلك مع أعبائه الكثيرة في التدريس في الجامعة والمسجد الحرام ، والإشراف والمناقشة لعدد وافر من الباحثين ، فقد كان نعم الموجه والمعلم والمشرف ، استفدت من خلقه الجمَّ قبل علمه ووجدت لديه العلم الواسع ، والصدر الرحب فجزاه ا لله عني خير الجزاء .

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وعظيم تقديري للمشرف السابق فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الوهاب أبو سليمان عضو هيئة كبار العلماء الذي كان له اليد الطولى في تسجيل هذا البحث ، ورسم خطته ، وتذليل العديد من الصعاب حوله فجزاه الله عني خير الجزاء ..

وأخيراً هذا هو عملي المتواضع ، وحسبي أن يكون مَرضيًّاً متقبلاً عند الله عز وجل ، وهو سبحانه وتعالى يعلم أني بذلت فيه ما وسعني من طاقة ، وأفرغت فيه ما استطعت من جهد ، ولا أدعي أني أخرجته كما أريد .

وعليَّ أن أسعى وليس عليَّ إتمام المقاصد

فما كان صواباً فمن الله وتوفيقه ، وما كان خطأ فمني ومن الشيطان ، والإسلام منه براء ، واستغفر الله .

هذا ومن عثر على شيء طغى به القلم ، أو زلت به القدم فليدرأ بالحسنة السيئة ويحضر في قلبه أن الإنسان محل النسيان ، وأن الصفح عن عثرات الضعاف من شيم الأشراف ، وأن الحسنات يذهبن السيئات .

ولعلي في هذا المقام أورد بعضاً مما جاء في إفتتاحية كشف الأسرار على أصول البزدوي للشيخ عبد العزيز البخاري – رحمه الله – حيث قال : "ثم إني وإن لم آل جهداً في تأليف هذا الكتاب وترتيبه ، ولم أدخر جهداً في تسديده وتهذيبه ، فلا بد من أن يقع فيه عثرة وزلل ، وأن يوجد فيه خطأ وخطل ، فلا يتعجب الواقف عليه فإن ذلك مما لا ينجو منه أحد ولا يستنكفه بشر ، وقد روى البويطي عن الشافعي - رحمه الله - أنه قال له : إني صنفت هذا الكتب فلم آل فيها الصواب فلا بد أن يوجد فيها ما يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٥] فما وجدتم فيه مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله فإني راجع عنه إلى كتاب الله وسنة رسوله .

وقال المزني : قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة ، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ ، فقال الشافعي : هيهْ ، أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه ، فالمأمول ممن وقف عليه بعد أن جانب التعصب والتعسف ، ونبذ وراء ظهره التكلّف والتّصلف أن يسعى في إصلاحه بقدر الوسع والإمكان أداء لحق الأخوة في الإيمان ،

---

(٥) سورة النساء الآية (٨٢) .

وإحرازاً لحسن الأحدوثة بين الأنام ، وادخاراً لجزيل المثوبة في دار السلام ، والله الموفق والمثيب عليه أتوكل وإليه أنيب[٦] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباحث

خالد بن صالح الزير

---

(٦) عبد العزيز البخاري ، كشف الاسرار ، (كراتشي : الصدف بلشرز) ، ٤/١ .

القســم الأول
الدراســـــــــة

الفصل الأول
ابن يونس

الفصل الأول
ابن يونس

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : عصر ابن يونس (٣٨٠هـ - ٤٥١هـ)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الحالة السياسية .

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية .

المطلب الثالث : الحالة الاقتصادية .

المبحث الثاني : حياة ابن يونس الذاتية وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ا سمه ونسبه .

المطلب الثاني : مولده .

المبحث الثالث : حياة ابن يونس العملية

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : نشأته العلمية .

المطلب الثاني : شيوخه .

المبحث الرابع : مكانته العلمية ومؤلفاته .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : مكانته العلمية .

المطلب الثاني : مؤلفاته .

المبحث الخامس : ثنا الناس عليه وإشادتهم به ووفاته

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ثناء الناس عليه وإشادتهم به .

المطلب الثاني : وفاته .

المبحث الأول

عصر الإمام ابن يونس

(٣٨٠هـ - ٤٥١هـ)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الحالة السياسية :

فتح الإمام ابن يونس عَيْنَيْه وإفريقية[١] والمغرب البلاد التي قضى فيها أغلب حياته تحت حكم دولة بني زيري (الدولة الصنهاجية)[٢][٣] نسبة إلى العائلة الحاكمة لها ، وصقلية[٤] الجزيرة التي ولد فيها وترعرع يتولى مقاليد الحكم فيها بنو أبي الحسين الكلبيين ؛ لذلك سوف أتكلم عن عصر الإمام بن يونس السياسي في كل من إفريقية والمغرب ، وصقلية وسيكون ذلك في قسمين :

القسم الأول : الحالة السياسية في صقلية .

---

(١) إفريقيّة بكسر الهمزة - وهو المشهور - وقيل بفتحها أقليم واسع قبالة جزيرة صقلية اختلف في تحديده إلى عدة أقوال ، والسبب في ذلك يعود إلى الظروف السياسية التي كانت عليها تلك البلاد ، والمراد بإفريقية هنا ما يعرف اليوم بالجمهورية التونسية .
انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت : دار إحياء التراث) ١/ ٢٢٨ ، ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق : محمد شمام (تونس : المكتبة العتيقة ، ١٣٨٧) ، ١٩ .

(٢) انظر : أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في الأدب ، تحقيق : حسين نصار (القاهرة : المكتبة العربية ، ١٤٠٣هـ) ، ١٤/١٥٦-٢١٧ ؛ علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ، (بيروت : دار صادر) ، ٧/٤٥ ، ٨٦ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ٨/١٢ ، ٣٩ ، ٥٥ ، أحمد بن الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، (تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٣٩٦هـ) ، ١/ ١٢٨-١٣٩ ؛ اسماعيل العربي ، عواصم بن زيري ، (بيروت : دا رالرائد العربي ، ١٩٨٤م) ، المؤنس ، ٧٣-٨٥ .

(٣) يعود نسب بن زيري إلى قبيلة صنهاجه إحدى القبائل البربرية الكبيرة ، ولقد كان لعائلة بن زيري دور كبير في القضاء على بعض الثورات التي قامت ضد الدولة العبيدية فكافأهم العبيديون بتسليم حكم إفريقية والمغرب لهم عندما انتقلوا إلى مصر سنة (٣٦٢هـ) ، ومؤسس هذه الدولة هو أبو الفتح يوسف بن زيري ا بن مَنَاد الصنهاجي .
انظر : إتحاف أهل الزمان ، ١/١٣٣ ؛ الكامل ، ٧/١٢١ ؛ شجرة النور ، ١/١٠٥ ؛ المؤنس ، ٧٤ ، الهادي روجي إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ط : الأولى ، ترجمة : حمادي الساحلي ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢م) ، ١/٣١ .

(٤) صِقِلِّيَة : بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء جزيرة جبلية مثلثة الشكل تقع في وسط البحر الأبيض المتوسط في مقابلة الجمهورية التونسية تبعد عن البر الأفريقي في الجنوب ١٢٠ كلم ، وعن البر الإيطالي في الشمال ٣ كلم، وتبلغ مساحتها ٢٥٤٦١ كلم مربع وهي اليوم تحت الحكم الإيطالي .
انظر : معجم البلدان ٢/٤١٦-٤١٩ ؛ أحمد المدني ، المسلمون في جزيرة صقلية ، (الجزائر : المطبعة العربية) ، ٩ وزارة الخارجية الإيطالية ، إيطاليا ، ٤٥٩-٤٧٣ .

القسم الثاني : الحالة السياسية في إفريقية والمغرب .

القسم الأول : الحالة السياسية لصقلية زمن الإمام ابن يونس :

أولاً : ولاية تاج الدولة يوسف بن عبد الله الكلبي (٣٧٩هـ - ٣٨٨هـ) :

في سنة ٣٨٠هـ السنة التي يرجح أن الإمام ابن يونس ولد قريباً منها كانت صقليه تحت حكم الأمير أبي الفتح يوسف بن عبد الله بن محمد الكلبي الوالي من قبل الخليفة الفاطمي العزيز الذي كانت صقلية تابعه له ، وقد أنعم الخليفة العزيز على أبي الفتح يوسف بلقب (ثقة الدولة) .

ولعل صقلية التي عاشت أوضاعاً مضطربة جداً لم تشهد عهداً كعهد الأمير أبي الفتح يوسف حيث ضبط الجزيرة ، وأحسن إلى الرعايا ، وأنسى بفضائله وجلالته كل من كان قبله من بني أبي الحسين ، وكانت أيام الناس بصقليه في مدته على أفضل ما يرومون من انتظام الأمور ، واستقامة الأوضاع ، واستقرار الأحوال .

واشتهر الأمير يوسف بعلوّ الهمة والعدل ، وظهر من جوده وكرمه على الناس ما لا يحيط به وصف[١] وكان بلاطه في بَلَرْم[٢] مقصد العلماء والأدباء ، ويعكس أدب الفترة ثقافته وثقافة بلاطه .

كما شن بعض الغزوات على الأراضي البيزنطية جنوب إيطاليا[٣] .

ثانياً : ولاية جعفر بن يوسف الكلبي (٣٨٨هـ - ٤١٠هـ) :

استمر الأمير يوسف يدير أمور صقلية إدارة عادلة رحيمة إلى أن قضى الله عليه بداء الفالج[٤] سنة ٣٨٨هـ . فعطّل جانبه الأيسر ، واتفق الناس معه على تسليم أمر

---

(١) انظر : ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب العجم والبربر ، (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ٤٤٨/٤/٢ - ٤٤٩ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، تحقيق : دوزي (ليدن ، ١٨٥١م) . ٢٥٥/١ ؛ أماري ، ميشيل ، المكتبة العربية الصقلية ، (ليبسك ، ١٨٥٧م) ٤٠٥/٢-٤٥٢ ؛ عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة : أمين الطيبي ، (تونس : الدار العربية للكتاب) ، ٣٩ ؛ إحسان عباس ، العرب في صقليه ، (بيروت : دار الثقافة) ، ٤٦ .

(٢) بَلَرْم : بفتح أوله وثانيه وسكون الراء ، معناها بكلام الروم : المدينة ، وهي أعظم مدينة في جزيرة صقلية في بحر المغرب على شاطيء البحر الشمالي الغربي ، سكانها مزيج من مختلف الأجناس .
انظر : معجم البلدان ، ٤٨٤/١ .

(٣) انظر : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٣٩ ؛ العرب في صقلية ، ٤٦ ؛ المسلمون في جزيرة صقلية ، ١٦٣ .

(٤) الفالج : مرض يحدث في أحد شقي البدن طولاً فيبطل إحساسه وحركته . انظر : المصباح المنير ، مادة (فلج) .

الدولة لابنه جعفر ، ففعلوا ووضعوه على كرسي الإمارة ، وراسلوا الحاكم بأمر الله خليفة الفاطميين بالقاهرة الذي ولي سنة ٣٨٦هـ بعد وفاة الخليفة العزيز ـ فصادق على ذلك وأرسل لجعفر سجل الإمارة ، وأعطاه لقب (تاج الدولة سيف الملة) .

تولى الأمير جعفر بن يوسف الإمارة ، وفي عهده انتهى عهد النظام والأمن والرفاهية ، وابتدأ عهد التدلي والسقوط الذي انتهى بزوال سلطان المسلمين من الجزيرة ووقوعهم تحت سلطان النرمان .

وأول وهن حدث في حكم الكلبيين اختلاف أفراد منهم فيما بينهم على الإمارة، فقد رأى علي بن يوسف الكلبي أخو الأمير جعفر أنه أحق بالإمارة من أخيه ، فاستمال إليه طائفة من البربر ، وجماعة من العبيد ، وتصدى لمحاربة أخيه ، واشتعلت بين الأخويين حرب ضروس انتهت بمقتل علي وقتل من شايعه من البربر والعبيد ، ثم أمر بنفي جميع من بالجزيرة من جنود البربير أجمعين فنفوا منها ، وأمر بقتل سائر العبيد ، واتخذ جنده من أهل صقلية خاصة ، فقلّ بذلك جنده ، وكان ذلك أحد أسباب سقوط ملكه .

وكانت سيرة جعفر أول أمره حسنة مقبولة إلى أن عيَّن كاتبه حسن بن محمد الباغائي وزيراً له ، وكان فظاً غليظ القلب ، وسلم له السلطة ، وأطلق يده في الأعمال فاستخف هذا الوزير بأعيان الأمة وشيوخ البلاد وقوادها ، وسلك سياسة اقتصادية تخالف ما ألفته البلاد ، ففرض الضرائب على طعام الناس وثمارهم فخاطبه القوم في الأمر، فاستطال عليهم واستغلظ فثارت البلاد ثورة عامة سنة ٤١٠هـ ، وحاصر الناس قصر الوالي ، واشرفوا على أخذه ، وعندئذٍ خرج إليهم الأمير يوسف والد الأمير جعفر يُحمل على محفَّة ، وكانت له منزلة عظيمة في نفوسهم ، ومكانة كبرى في قلوبهم ، فلما رأوه هدأت ثائرتهم ، فخاطبهم في شأن ابنه جعفراً فاشتكوا من شدته ، وسوء تدبيره ، وتدبير وزيره ، وطلبوا منه أن يعزله ويولي عليهم ابنه أحمد الأكحل ، فلباهم إلى ما طلبوا ، وأعلن عزل جعفر وتولية أحمد ففرح الناس بذلك واستبشروا به خيراً ، وبرَّ يوسف بما وعد ، فارتحل مع ابنه جعفر إلى مصر ، وترك صقلية في يد الأكحل ، وتسلم الصقليون حسن الباغائي فقتلوه وطافوا برأسه ، وانتهى أمر الثورة بسلام[1] .

---

(1) انظر : المكتبة الصقلية ،٤٤١ ، ابن خلدون ، العبر ، ٢٠٩/٤ .

ثالثاً : ولاية أحمد الأحكل "أسد الدولة" (٤١٠هـ - ٤١٧هـ) :

تولى أحمد الأكحل الإمارة في المحرم سنة (٤١٠هـ) وبدأ أعماله بجد وحزم شديدين ، فضبط الأمور ، واستقرت الأحوال ودانت له سائر البلاد .

وكان الأكحل يعتمد على ابنه جعفر في الحكم ، ويستخلفه في الإمارة إذا خرج للغزو ، ورأى جعفر بن أحمد أنه لا يمكن حكم صقلية إلا بالاعتماد على فريق دون فريق من سكان الجزيرة ، وتكوين عصبة متينة حول قصر الإمارة تحميه من عاديات الزمن ، ففرق في المعاملة بين سكان صقلية الذين ينقسمون إلى قسمين قسم الصقليين المتأصلين الذين استوطنوا البلاد منذ أوائل الفتح ، وقسم الأفارقة الذين جاؤوا البلاد حديثاً مع ولاة الفاطميين ، واستقروا بها وأغلبهم من البربر . حيث اعتمد في الحكم على الأفارقة وعاملهم معاملة خاصة وأعفاهم من دفع الضرائب ، وأصبح يتقاضى الخراج على أملاك الصقليين وحدهم ، فوقع من جراء ذلك اضطراب عظيم ، وانفصم حبل الأمة ، وسادت الضغينة والأحقاد بين قسميها ولم تستقر الأحوال حتى تدخل الزيريون .

تدخل الدولة الزيرية في شئون صقلية :

وعندئذٍ استنجد الصقليون بالمعز بن باديس حاكم إفريقية والمغرب طالبين منه مساعدته وإلا أسلموا الجزيرة إلى الروم ، واستجاب المعز للصقليين ، وأرسل بجيش بقيادة ابنيه عبد الله وأيوب ، فساروا إلى الجزيرة ، واستولوا على الحكم هناك وقتلوا الأكحل ، وأخذ ابني المعز يديران الحكم هناك بحكمة ورأى سديد إلى أن تعرض جيشه إلى نكبة عظيمة .

أسطول المعز بن باديس يتعرض لكارثة كبيرة :

كان النرمان يراقبون الأحداث الجارية في صقلية عن كثب ، وينتظرون فرصة سانحة يُنزلون من خلالها ضربة قاضية بالمسلمين في صقلية ، وما كان الصقليون غافلون عن ذلك ، فقد أرسلوا إلى المعز يستنجدونه ويستصرخونه ، ويطلبون إليه أن يمدهم بقوة عتيدة تمنع عنهم خطر النرمان ، وتحمي أرض الجزيرة من كل طامع .

وهنا استجاب المعز بن باديس لنجدة الصقليين فدعى الناس للجهاد ، واستنفرهم للخروج ، وتطوع خلق كثير باعوا أنفسهم لله وفي سبيل دينه ، وتم تجهيز أسطول يجمع ٤٠٠ سفينة مثقلة رجالاً وخيلاً وسلاحاً لكن ذلك الأسطول العتيد الذي كان يستطيع

بنصر الله له أن يقلب صفحة التاريخ في صقلية بل في أوروبا نفسها قضى الله بهلاكه ولا مرد لقضائه حيث سار حتى وصل إلى جزيرة قوصرة ، وهناك أصابته عاصفة هائلة أتلفته كله ولم ينج من أهله إلا القليل ، فكانت هذه المصيبة العظيمة أكبر أسباب ضياع صقلية ، ومن أعظم أسباب سقوط القيروان عاصمة الدولة الزيرية التي اندكت تحت ضربات الأعراب الهلاليين سنة ٤٤٩هـ .

في ظل هذه الأحداث الجسام اجتمع أهل صقلية وتلاوموا أنهم أدخلوا الصنهاجيين في حكم صقلية ، وأنهم بذلك فقدوا استقلالهم ، واستنصروا من لا يستطيع نصرهم ، فاتفقوا على نصب أمير من الكلبيين ، وإعادة الملك لهم ، فتنكروا لابني المعز وحاربوهما وقاتلوهما ، فما وسعهما إلا الرجوع بفلولهما لأفريقية ، ونَصَّب الصقليون في بلرم حسن الأكحل الملقب "بصمام الدولة" أميراً عليهم[1] .

رابعاً : أمراء الطوائف :

بعد خروج أبناء المعز بن باديس من صقلية تناثر عقد الجزيرة ، وتقسمت إلى ولايات كل ولاية يحكمها أمير .

ففي بلرم العاصمة كان حسن بن يوسف الكلبي الملقب بصمام الدولة حاكماً على الناحية الشمالية ، وفي مازرة وما حولها استقل بالأمر عبد الله بن منكوت ، وفي جرجنتي وما إليها استبد بالإمارة علي بن نعمة بن الحواس ، وفي سرقوسه وقطانية استقر ابن الثمنة ، واستقل في جهة مسينا أمير آخر ، وأصبح أمر البلاد فوضى واضطراباً .

وحصل أن أهل بلرم أعلنوا خلع طاعه حسن الكلبي لما رأوا من ضعفه ، وأمروا عليهم ابن الثمنة ضامين بذلك إمارتي سرقوسه وقطانية وإمارة بلرم ، ثم حصل خلاف وقتال بين ابن الثمنة أمير بلرم وسرقوسه وقطانية وعلي ابن الحواس أمير جرجنتي انتهى بانتصار ابن الحواس ، وانتصابه أميراً في بلرم .

أما ابن الثمنة فقد أدت به النذالة والصَّغَار أن استنجد بملك النرمان وطلب منه أن يمده بجنده ووعده بملك الجزيرة ، وما كان روجي الأول ملك النرمان ينتظر إلا مثل ذلك الحادث فجمع أسطوله وجموعه الوحشية ، وسار مع الخائن ابن الثمنة ، وهنا سار رجال من صقلية إلى تميم بن المعز حاكم المهدية فما كان منه إلا أن لبى الدعوة ،

---

[1] انظر : المكتبة الصقلية ، ٤٤٥ ، ابن خلدون ، العبر ٤٤٩/٤/٢ ، العرب في صقليه ، ٤٧ـ٤٨ ؛ المسلمون في جزير صقلية ، ١٧٧ـ١٨٠ ؛ تاريخ صقلية ، ٣٩ـ٤٠ .

واستنفر الناس للجهاد ، فجهز بعض قطع الأسطول الذي كان بالمهدية وأرسل بكل ذلك تحت قيادة ولديه علي وايوب واستعد الناس للجهاد ضد النرمان ، لكن ابن الحواس خشي على ملكه المتضعضع ، وخاف زوال سلطانه الآفل ففرق الكلمة بعد اجتماعها ، وشتّت الشمل بعد التامه ، و جمع جنوده وصادم بها جيش المنقذين لكنه قتل في إحدى المعارك .

اجتمع الناس بعد مقتل ابن الحواس على ولاية أيوب ، ورأوا فيه القائد الذي يمكنه إنقاذ صقلية من براثن النرمان الذين كانوا يتقدمون دائماً ، ويأكلون أطرف الجزيرة حتى أصبح أكثرها في أيديهم واستمر القتال عنيفاً بين المسلمين والنرمان ، لكن كفة الميزان كانت في صالح النرمان الذين كانوا يتقدمون والمسلمون يتوالى خسرانهم ، ويستمر انهيارهم ، وفي ظل هذه الظروف الصعبة والحالكة في تاريخ صقلية تآلب جماعة من المسلمين ضد أيوب بن تميم ، وناوؤه وقاتلوه على مرأى ومسمع من النرمان ، فأدرك تميم أنه لا مناص من الإنسحاب من صقلية ، وعَلِم كبار القوم هناك أن صقلية قد أوشكت شمسها على الأفول ، فقرر أيوب وقرر وجوه القوم معه الإنسحاب إلى المهدية، فركبوا الأسطول حاملين جميع من رأى الإنسحاب من الجزيرة من خاصة القوم وعامتهم، وكان ذلك في سنة ٤٦١هـ ، وعندئذٍ خلا الجو لرجال النرمان فاندفعوا يحتلون بقايا الجزيرة حتى تملكها النورمان كاملة وسقط آخر معقل منها سنة ٤٨٤هـ[1] .

أثر الأحداث السياسية في صقلية على الإمام ابن يونس :

ولد الإمام ابن يونس في صقلية وكانت وقت ولادته ونشأته تحت حكم « أبو الفتح » يوسف بن عبد الله الكلبي (ت بعد ٤١٠هـ) التي كانت البلاد في عهده تنعم بالعدل والرخاء والأمن والإطمئنان ، ولا شك أن مثل هذه الأحوال المستقرة تنعكس بآثار طيبة على مجالات عدة منها المجال العلمي والثقافي الذي نشط في هذه الحِقْبة وازدهر ، وأقبل طلبة العلم على حلقات الدروس التي كانت عامرة بالعديد من العلماء[2] القرويين وغيرهم حيث كانوا يدرسون الحديث والفقه وأصوله والنحو حيث

---

(١) انظر : ابن خلدون ، العبر ، ٢/٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠ ؛ المكتبة ، ٤٨٤ ؛ المسلمون في صقلية ، ١٧٧-١٨٩.

(٢) سنتكلم عن بعضهم في فصل شيوخ ابن يونس .

انجبت هذه الدروس والحلقات طبقة من كبار الفقهاء كانت وما زالت آثارهم في الدراسات الفقهية محل اهتمام وعناية من بعده ، وأثرت تأثيراً كبيراً في ازدهار الدراسات الفقهية في صقلية وفي مختلف البلدان الإسلامية الأخرى ومنها إفريقية والمغرب .

إلا أن أوضاع صقلية بعد هذه الفترة الذهبية دخلت في نفق مظلم حيث عصفت بها رياح الاضطراب ، وأخذت الأوضاع السياسية تتدهور مع امتداد الزمن ، ويضمحل مع هذه الأوضاع العلم ويتقلص ظلاله ، ومن هنا يظهر أن الإمام ابن يونس آثر مغادرة صقلية ، والرحيل إلى القيروان ، ولعل ذلك كان قبل عام ٤٠٣هـ حيث لم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى السنة التي غادر فيها الإمام ابن يونس صقلية متوجهاً إلى القيروان إلا أنها أشارت إلى أن الإمام ابن يونس قد درس على أبي الحسن القابسي المتوفي سنة (٤٠٣هـ)[1] .

---

(1) أبو الحسن القابسي (٣٢٣هـ - ٤٠٣هـ) .
علي بن محمد بن خلف المعافري ، المعروف بابن القابسي ، سمع من رجال إفريقية ، وحج وسمع بمصر ومكة، كان فقيهاً متكلماً له كتب عدة منها (الممهد ، وأحكام الديانة ، ومناسك الحج وغيرها) .
انظر : عبد الرحمن الدباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق : محمد ماضور ، (تونس : المكتبة العتيقة) ٣/١٣٤-١٤٣ ؛ عبد الحي ابن العماد ، شذرات الذهب ، (بيروت : دار الفكر ، ٣/١٦٨) .

القسم الثاني : الحالة السياسية في إفريقية زمــن ابــن يونــس (٤٠٠هـ ـ ٤٥١هـ) :

دخل الإمام ابن يونس القيرواني مع مطلع القـرن الخـامس وهـي تحت سـلطان الدولة الصنهاجية وفي هذه الفترة الزمنية تعاقب على الحكم اثنين مـن البيـت الزيـري ، وفيما يلي أتحدث عن الحالة السياسية للبلاد في فترة حكم كل منهما :

أولاً : باديس بن المنصور بن يوسف بن بلكين الملقب بـ (نصر الدولة) :

حكم من سنة (٣٨٦هـ ـ ٤٠٦هـ) :

تولى باديس بن المنصور الحكم بعد وفاة والده سنة ٣٨٦هـ ، وكان ملكاً حازماً شديد البأس استهلك فترة حكمه في حروب متصلة وطد فيها أركـان دولتـه مـن خـلال قمع الخارجين عليها ، والمناوئين لها ، وكان من بـين هـؤلاء الثـائرين عمـه حمَّاد[1] الـذي خرج عليه ، واستقل بحكم قلعة بني حمَّاد في المغرب الأوسط .

هذا وكان باديس ومن قبله من حكام الدولـة الصنهاجيـة محـافظين علـى تبعيتهـم للعُبَيديّين وولائهم للمذهب الإسمـاعيلي إلا أنهـم لم يتشـددوا في مطالبـة النـاس بالتشـيع فانفسح المجال لنشر السنة وأرآء السلف ، واستمر الوضع على هـذا الحـال إلى أن تـوفي باديس سنة (٤٠٦هـ) .

ثانياً : المعز بن باديس بن المنصور :

حكم من سنة (٤٠٦هـ ـ ٤٥٤هـ) .

بويع المعز بالحكم وله من العمر ثمانية أعوام ، وقام بتدبير ملكـه عمـه كرامـة بـن المنصور ، وأتاه التقليد من الخليفة بمصر ، ولَّقبـه شـرف الدولـة ، ولما بلـغ باشـر ملكـه بنفسه الذي استمر قرابة نصف قرن .

ولقد استطاع المعز بحكمته وسياسته الرشيدة أن يجعل عهده عهد صلـح ومسـالمة فعفى عن عمه حماد الذي كـان خلـع طاعـة أبيـه وأظهـر العصيـان ، كمـا أعـاد القبـائل

(١) هو حماد بن بلكين ، كان الأداة الأساسية التي حققت لباديس النصر في حروبه ، وكان بـاديس يجعـل لعمـه حكم ما يفتحه ، ثم بعد ذلك أنكر باديس على عمه أمور فـأراد نـزع بعض مـا بيـد عمـه وتسـليمه لابنـه المنصور بن باديس لكن حماداً رفض ذلك وخلع الطاعة ، وأعلن العصيان فقامت حـروب كـان النصـر فيهـا لباديس .

انظر : ابن الأثير ؛ الكامل ٢٧٦/٧ ـ ٢٧٧ ؛ اتحاف أهل الزمـان ، ١٦٨/١ ، إسمـاعيل العربـي ، عواصـم بن زيري ، (بيروت : دار الرائد العربي) ١٣١ .

المخالفة إلى السكون والهدوء ، وبسط أمنه وأمانه لمن في الأندلس من بني زيري وبخاصة الذين فروا إبان الصراع على الملك في بداية الدولة الصنهاجية .

وهكذا استطاع المعز إزالة الشقاق من النفوس ، وربط القلوب ، فالتف حوله الشعب بجميع فئاته ، وانصرف الجميع للعمل والنشاط مما أسهم بحظ وافر في تقدم البلاد في شتى مجالات الحضارة والثقافة .

وقد زهت أيام المعز ، وعلا صيته ، وبسط نفوذ دولته على الشمال الإفريقي ، وأصبح البحر المتوسط تحت سيطرة قواته التي بسطت نفوذها على معظم جزره وتحكمت في أهم طرق الملاحة بها ، فخطب وده القاصي والداني ، وتوافدت البعثات إلى بلاطه في القيروان من أوروبا ومصر والسودان ، تحمل الهدايا وتعرض صداقتها وتعاونها[1] .

هذا وكان المعز بن باديس في بداية حكمه على نهج من سبقه في التبعية والولاء للعبيديين حتى إذا جاءت سنة (٤٣٥هـ) أعلن التخلص من سلطان بن عبيد ، وقطع دعوتهم ، وأحرق بنودهم ولعنهم على المنابر ، ودخل في طاعة الدولة العباسية التي تتفق معه في الطريقة والاتجاه[2] .

كما أن هذا الأمير قد حمل الناس في عهده على مذهب الإمام مالك بن أنس ـ الذي نشأ عليه ونهل من معينه ـ حسماً للخلاف ؛ ولأنه مذهب معظم إفريقية .

أيضاً عمد المعز إلى التبرأ من العقائد الشيعية في إفريقية والمغرب[3] ، ونشر المذهب السُّنّي الذي كان المعز قد تربى عليه ، ولما ظهر ذلك للناس عمدوا إلى وضع

---

(١) انظر : ابن الرشيد ، التحف والذخائر ، تحقيق : محمد حميد الله ، (الكويت ، ١٩٥٩م) ٧٨ ـ ٧٩ ؛ عواصم بن زيري ، ١٣٤ ـ ١٤٤ ؛ اتحاف أهل الزمان ، ١٧٢/١ .

(٢) انظر : حسين مؤنس ، معالم تاريخ الأندلس ، (بيروت : المعارف ، ١٩٨٠م) ، ١٤٦ ؛ إتحاف أهل الزمان ٧، ٧٧٢/١ .

(٣) كان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى في القيروان ، والناس يسلمون عليه ، ويدعون له ، فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل : هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر ، فانصرفت العامة من فورهم إلى درب المقلى من القيروان ـ مكان تجتمع به الشيعة ـ فقتلوهم ، وأحرقوهم بالنار ونهبت ديارهم . انظر : الكامل ، ٢٩٤/٧-٢٩٥ .

كما محا المعز أسماء بن عبيد من السكة المتداولة وضرب دينارا جديداً نقش عليه قوله تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[1] وفي الوجه الآخر : (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق) .

ويستروح من الآية القرآنية التي أوردها في نقوده إنكاره للمذهب الشيعي ، ونسبة أهله إلى المروق من دائرة الإسلام[2] .

لم يكن الحقد الباطني ليسكت على عودة إفريقية إلى السُّنّة ، واستقلالها عن الدولة الفاطمية بمصر حتى فكروا في الإنتقام بوسيلة لم تكلفها خسائر كبيرة ولا كثير عناء ، وذلك أنه يوجد بأرض مصر قبائل عديدة من الأعراب ينتسبون إلى بني سليم وبني هلال[3] وغيرهم يقيمون جبراً في أرض الصعيد ما بين البحر الأحمر والنيل ، وكثر عبثهم وتخريبهم فاغتنم الملك الفاطمي المستنصر بالله فرصة عقوق المعز بن باديس ، وانسلاخه عن سلطانه فرخَّص للأعراب المستقرين بأرضه الدخول إلى المغرب ، وأباح لهم اجتياز النيل والسير إلى إفريقية وتملك أرضها من يد الصنهاجيين ، وسرعان ما تسربوا زرافات وأفواجاً إلى أرض برقة ثم إلى طرابلس واستحوذوا عليها ، ثم طرقوا مدينة قابس وامتلكوها ، ومنها انسابوا كالسيل العَرِم على سهول البلاد التونسية وقهروا أهلها ، وعبثاً حاول المعز إيقاف هذا التيار الجارف ، فالتقى بجيوشه بجموعهم فأوقعوا به هزيمة نكراء في مكان (حَيْدران) ما بين قابس وصفاقس سنة (٤٤٣هـ ١٠٥٢م) وعاد المعز مفلولاً في شرذمة قليلة من جنده إلى القيروان التي لم تكن لتمنعه

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٨٥) .

(٢) انظر : ورقات عن الحضارة العربية ، ٤٤٤/١ ؛ إتحاف أهل الزمان ، ١٧٢/١ .

(٣) ينحدر بنو هلال بن عامر بن صعصعه ، وأبناء عمومتهم بنو سليم منصور من قيس عيلان بن مضر ، ولكنهم كانوا يختلفون في طبيعتهم وأخلاقهم عن أجدادهم هوازن بن منصور بن قيس ، الذين كانوا من أعظم العرب وأقواها وأبعدها أثراً في الفتوح الإسلامية أيام الخلافة الراشدة والأمويين ، بخلاف هؤلاء المتأخرين فقد عدَّهم ابن خلدون من عرب الجيل الرابع ، العرب المستعجمة الذين فقدوا خلق العرب الأول. وقد عاشوا في شبه الجزيرة ووسطها على هامش مناطق الحضر والإستقرار ، وقد اشتدت بهم الحال حتى كانوا يهاجمون قوافل الحجيج وينهبونها حتى ساءت سمعتهم ، وهبط قدرهم ، وقد أخرجوا من الجزيرة العربية وسكنوا الضفة الشرقية بنهر النيل ومنعوا من عبوره حتى أذن لهم الفاطميون بعبوره وتمليكهم ما يحتلونه من أراضي المغرب وإفريقية .
انظر : معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ١٤٦-١٥٠ ؛ عواصم بن زيري ، ١٣٩-١٤٠ ؛ معالم الإيمان ، ١٥/١-٢٠ ؛ ورقات عن الحضارة العربية ، ٤٤٨/١ .

من شرورهم ، فاضطر إلى الالتجاء سنة (٤٤٩هـ) إلى المهدية[1] لحصانة أسوارها ومتانة قلاعها ، واتخذها قاعدة لملكه وملك أبنائه وحفدته[2] .

أثر الأحداث السياسية في إفريقية على ابن يونس .

لا شك أن الأوضاع السياسية التي عاشتها إفريقية قد أثرت في حياة الإمام ابن يونس تأثيراً واضحاً ، حيث لّما شهدت القيروان حالة الإستقرار والإزدهار والأمن والرخاء ، واستوت على سوقها انعكس ذلك بآثاره الإيجابية على الحياة العلمية بالقيروان التي عاشت عصرها الذهبي فانتشرت حلقات العلم ودروسه ، وأقبل الناس على العلماء إقبالاً عظيماً ، وأضحت القيروان مركز الإشعاع العلمي ، ومنطلق الحياة الثقافية، وكان من بين هؤلاء العلماء الإمام ابن يونس الذي تلقى العلم على أكابر علماء القيروان في ذلك العصر ثم عمل على تدريسه لطلبة العلم ، ولّما تغيرت الأوضاع ، وتبدلت الأحوال ، وشهدت القيروان اجتياح بني هلال ترك ابن يونس القيروان ، واستقر في المهدية يعلم ويدرس إلى أن توفي سنة (٤٥١هـ) .

---

(١) المهدية : مدينة تونسية تقع على البحر الأبيض المتوسط ، كان قد اختطها عبيد الله المهدي عام (٣٠٠هـ) عندما أراد أن يبني لنفسه موضعاً حصيناً خوفاً من أي خارج عليه ، وكانت محصنة بالأسوار والأبواب الحديدية المصمتة .
انظر : معجم البلدان ، ٥/٢٣٠ ؛ المسلمون في جزيرة صقلية ، ١١٠ .

(٢) الكامل ، ٨/٥٩ ؛ العبر ، ٤/٦٣ ، ٦/١٦ ، ١٥٩ ؛ البيان المعرب ، ١/٢٩٢ - ٢٩٤ ؛ إتحاف أهل الزمان ، ١/١٣٩ ؛ معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ١/١٥-٢٠ ، ٣٢/١٩٠ - ١٩٢ ؛ البيان المغرب ، ١/٢٨١ ، ورقات عن الحضارة العربية ، ١/٤٤٨ ؛ الدولة الصنهاجية ، ١/٢٤٧ .

المطلب الثاني : الحياة الإجتماعية :

لعل من أهم ما نتكلم عنه عند الحديث عن الحياة الإجتماعية في القيروان عناصر المجتمع القيرواني ، وذلك لأن التوافق بين عناصر السكان وطبقاته المختلفة له تأثير على بناء الحياة السياسية ، والإقتصادية ، والثقافية .

وقد ضمت القيروان بعد الفتح الإسلامي عناصر مختلفة من السكان مما يأتي :

١ـ البربر وهو سكانها الأصليون ، حصل بينهم وبين العرب التّصاهر ، وأدى هذا إلى تقوية الروابط الإجتماعية بين العنصرين .

٢ـ الأفارقة وهم سكان إفريقية الذين وفدوا عليها من مختلف البلاد .

٣ـ الروم البزنطيون .

٤ـ العرب حيث اختَطّ المسلمون القيروان ، وجعلوها موطناً لجند المسلمين وأسرهم ، وقاعدة تنطلق منها الجيوش الإسلامية لفتح البلاد و نشر الإسلام وتعاليمه السامية في إفريقية والمغرب ، واستوطن القيروان العديد من القبائل العربية منهم التميميون ، والأنصار الأوس والخزرج ، والأزد القيسيون ، وتنوخ ، وبنو جرير الكِنْدِيون ، وأخلاط من قريش ، ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان[1] .

٥ـ أقلية يهودية كانت تسكن في حي مستقل بالقيروان يسمى باليهودية .

وقد انقسم هذا الخليط من السكان حسب الأعمال التي يقومون بها إلى :

١/ طبقة الحكام والخواص من الولاة وكبار رجال الدولة .

٢/ طبقة التجار .

٣/ طبقة المثقفين وبخاصة الفقهاء الذين كان لهم دور كبير في توجيه الحياة الإجتماعية ، وتأثير قوي في الحياة السياسية .

٤/ طبقة العامة ، وتتألف من الجنود النظاميين أو المتطوعين ، والفلاحين ، وأصحاب الحرف اليدوية الصناعية[2] .

---

(١) ورقات عن الحضارة العربية ، ٣٨١ ؛ اليعقوبي ، البلدان ، ط : الثالثة ، (النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٧م) ص ١٠٠ ؛ محمد زيتون ، القيروان ودورها في الحياة الإسلامية ؛ ط : الأولى ، (القاهرة : دار المنار) ص ١٦٨ ؛ البيان المغرب ، ٣٨/١ ؛ بساط العقيق ، ص ١٦ .

(٢) انظر : حسن حسني ، البساط العقيق ، (تونس : المطبعة التونسية) ، ص ١٦ ـ ١٧ ؛ القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، ١٧٠ ـ ١٧١ .

أما بالنسبة للسلوك الاجتماعي العام فكان يسود العدل ، وترتفع راياته ، ويحارب الظلم ، ويعاقب مرتكبوه وبخاصة في المعاملات ، فكان القاضي يُعين المحتسب الذي يقوم بمحاربة المنكرات ، ويحمل الناس على احترام المصلحة العامة .

وكان يغلب على المجتمع القيرواني حب الخير ، والتمسك بالفضيلة وكان العلماء بالمرصاد لكل بادرة من بوادر التحلل والإنحراف[1] .

المطلب الثالث : الحالة الإقتصادية

الجوانب الإقتصادية في كل بلد لها تأثير كبير ، ودور بارز على الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية حيث باستقراره تستقيم الأحوال وتستقر الأوضاع .

والمقصود هنا بالحالة الإقتصادية كل ما يتعلق بجوانب المظاهر الإقتصادية كالزراعة والتجارة والصناعة .

فالقيروان التي اختطها المسلمون لتكون قاعدة حربية لجيش المسلمين ، ولتكون منارة لنشر الإسلام في الشمال الإفريقي ، ومركزاً يستقر فيه المسلمون وتوجه منه سياستهم لم تلبث أن صارت العاصمة الإقتصادية الأولى في الشمال الأفريقي . حيث كان الوضع الاقتصادي للدولة الصنهاجية زمن الإمام ابن يونس على درجة عالية من المتانة والقوة والإزدهار ، وبلغ شأواً بعيداً .

ففي مجال تنظيم واردات الدولة كان هناك نظام الخراج على عجم إفريقية ومن أقام معهم من النصارى ، ونظام الزكاة على المسلمين .

وفي مجال الصناعة تم تأسيس العديد من المصانع لصناعة السفن والآلات الحربية ، ولضرب النقود والصنوج[2] ، ولصناعة المنسوجات الصوفية والملابس والجلود ، و الزجاج والبلور ، والصناعات الخشبية والمعدنية[3] .

---

(١) انظر : بساط العقيق ، ص ٢٧ .

(٢) الصنوج : قطعة مستديرة بقدر الدرهم أو أكبر منه أو أصغر تتخذ من الزجاج ويرسم على أحد وجهيها فقط كتابة بارز تدل على أن مثقالها هو وزن الدرهم أو الدينار الرسمي الشرعي ، وغالباً ما يكتب عليها اسم الأمير أو الوالي الذي أمر بضربها ، وبهذا الصنج يتمكن الصيرفي أو التاجر من معرفة النقص في وزن الدرهم . انظر : ورقات من الحضارة الإسلامية ٦١/١ ؛ القيروان ودورها في الحضارة ، ١٥٤ .

(٣) انظر الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق المنجي الكعبي ، (تونس : مطبعة الوسط) ، ص ١٤٩ ؛ البيان المغرب ، ٧٨/١ ؛ ورقات في الحضارة ، ٤١٠ ـ ٤١٩ ؛ القيروان ودورها في الحضارة ، ١٥٤ ـ ١٦١ .

ولقد أدت هذه النهضة الصناعية بالفقهاء إلى أن أفردوا بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بهذه الجوانب في كتب مستقلة ككتاب تضمين الصّناع[١] .

وفي مجال الزراعة كثرت محصولات القيروان ، وتنوعت المزروعات بها ، كما اعتنى المجتمع القيرواني بتربية المواشي والاستفادة منها[٢] .

وفي مجال التجارة كانت القيروان تعيش نشاطاً تجارياً واسعاً حيث كانت سوقاً كبيرة للمنتجات الزراعية والصناعية ، ومقراً للتجارة الداخلية والخارجية ، يصفها أحد المؤرخين فيقول : (أعظم مدينة بالمغرب ، وأكثرها تجراً وأموالاً ، وأحسنها منازل وأسواقاً ، وكان فيها ديوان جميع المغرب ، وإليها تجبى أموالها ، وبها دار سلطانها)[٣] .

وكانت على علاقات تجارية واسعة بالدول المجاورة لها ، ساعد على ذلك موقعها الجغرافي المتوسط[٤] .

ومن الأدلة على عظم النشاط التجاري الذي كانت تشهده القيروان أنه كان يدخل أحد أبواب القيروان في كل يوم ستة وعشرون ألف درهم[٥] .

ومما ينبغي التأكيد عليه أن الحياة الإقتصادية في القيروان خضعت لأحكام الشريعة الإسلامية وفق مذهبي مالك وأبي حنيفة[٦] .

ولقد تفاعل الفقهاء مع ما استجد من نوازل ووقائع لها صلة بالنشاط الإقتصادي فألف يحي بن عمر كتاباً بيّن فيه أحكام الحسبة أسماه (أحكام السوق)[٧] .

ولا شك أن هذا الإزدهار الاقتصادي والنشاط التجاري قد أدى دوراً كبيراً في إثراء الحياة العلمية بالقيروان .

---

(١) اهتم المذهب المالكي ببيان أحكام تضمين الصناع في وقت مبكر من تدوين الفقه الإسلامي فهذا ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة (٣٨٦هـ) يفرد له كتاباً في كتابه "النوادر والزيارات" ، وفي "أصول الفتيا" خصص ابن حارث الخشني المتوفي سنة (٣٦١هـ) بابين متواليين بيّن فيها فروعاً متعلقة بالصّناع والأجراء ، وكذلك فعل الإمام ابن يونس في كتابه "الجامع" .

(٢) انظر : عبد الرحمن بن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، (ليدن : مطبعة ابريل ، ١٩٣٠م) ١٨٥ ، القيروان ودورها في الحضارة ، ١٥٥ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، (طبعة : بيروت) ص ، ٩٤ .

(٤) انظر : البيان المغرب ، ١٦٩/١ ؛ بساط العقيق ، ٢٠ ، القيروان ودوررها في الحضارة ، ١٦٢ - ١٦٨ .

(٥) عبد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، (بغداد : مكتبة المثنى) ص (٢٥) .

(٦) الحسين بن شواط ، مدرسة الحديث في القيروان ، ط : الأولى ، (الرياض : الدار العالمية) ١١٨/١ .

(٧) انظر : ورقات في الحضارة ، ١٢٩/٣ .

المطلب الرابع : الحياة الثقافية :

أضحت القيروان في النصف الأول من القرن الخامس الهجري مركز العلم والمعرفة ، ومنارة الإشعاع العلمي في الشمال الإفريقي ، حيث عاشت قمة ازدهارها الفكري ، وأخصب عمرها الثقافي ، من أجل ذلك توارد عليها عدد لا يحصى من المتعلمين من أطراف الأصقاع الإفريقية والمغربية والأندلس وصقلية وغيرها ، وما ذاك إلا لأنه وجدت بها طائفة من جهابذة العلماء في معظم العلوم والآداب ، وكانوا نجوماً ساطعة في سماء العلم ، وكل واحد منهم كان يتبوأ مركزاً علمياً مرموقاً .

وكان لقب القيرواني للعالم أو الأديب أو الفقيه وسام فخار وشرف له وقعه على الأسماع ، ويعد سمة من سمات التفوق ، وعلامة من علامات الإمتياز والنبوغ الذي لا يضارع .

والحياة العلمية في القيروان لم تقتصر على جوانب معينة بل شملت شتى العلوم والآداب التي كانت موجودة آنذاك ، ساعد على ذلك في هذه الحقبة الزمنية ما عُرف به المعز بن باديس من حب للعلم ، وإقبال على بث العلوم ونشر المعرفة ، وتقدير للعلماء والأدباء ، حيث بالغ في إكرامهم والإغداق عليهم ، فمنحهم أسمى المراتب ، وأعلى الرواتب ، حتى سارت بذكره الركبان ، واتجه إليه العلماء والأدباء ، وقصدوه من كل حدب وصوب ، لكل هذا صارت القيروان أيام المعز قِبْلَة ، والتقى فيها الشوامخ من العلماء والفقهاء ، وأئمة الفصاحة والبيان ، حتى أصبحت بحق نداً لغيرها من الحواضر والعواصم الأخرى ، وراحت تزهو عليها بما وصلت إليه من حضارة وثقافة[١] .

يقول المراكشي : (كانت القيروان منذ الفتح الإسلامي إلى أن خربها الأعراب دار العلم بالمغرب ، وإليها ينتسب أكابر علمائه وإليها كانت الرحلة في طلب العلم)[٢].

ويقول صاحب معجم البلدان وهو يصف عهد المعز بن باديس : (وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء ، تشد إليها الرحال من كل فج ، لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب ، وعنايته بهم)[٣] .

---

(١) انظر : ورقات من الحضارة ، ١/٣٤٣ ، بساط العقيق ، ٨٧٨ .
(٢) محمد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : محمد العريان ، محمد العربي ، (القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٤٩م) ص . ٤٤١ .
(٣) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، (القاهرة : ١٩٣٦م) ، ٩٧/٧ .

وكان للمعز بن باديس خاتمة أمراء القيروان خزانة تضم ذخيرة جليلة من الكتب الفقهية مثل المدونة ، والنوادر ، والموازية يستفاد وجودها من الخبر الذي أوردته المصادر عن إهداء المعز لأبي بكر عتيق السُّوسي (ت : ٤٦٠هـ) أحمالاً من الكتب، فرفض أبو بكر قبولها ، فقال له الرسول : (يقول لك المعز هذه الكتب في خزانتنا ضائعة ، وبقاؤها عندنا مما يزيدها ضياعاً ، وأنت أولى باقتنائها ..)[1] .

أهم العلوم الشرعية التي كانت بالقيروان :

كانت القيروان في عهد صنهاجة زاخرة بمعظم العلوم الشرعية وفيما يلي نلقي بعض الضوء على أهم العلوم الشرعية التي كانت تدرس :

أولاً : القرآن وعلومه :

على عهد الصحابة نشأت الكتاتيب بالقيروان[2] ، وكانت مهمتها الأساسية تعليم القرآن ، ثم في عهد التابعين وما بعدهم أخذ أهل القيروان يتدارسون سائر علوم القرآن الكريم وبخاصة القراءات ، والناسخ والمنسوخ ، وإعراب القرآن ، وبيان مشكله[3] .

ومن علماء القراءات في هذه الفترة أبو عبد الله محمد بن سفيان الهَوَّارِي المقرئ (ت:٤١٥) : كان عالماً بالقرآن وعلومه ، متفوقاً في علم القراءات حتى وصف بأنه (أشهر من في المغرب بالقراءات)[4] .

ومنهم : أبو محمد مكي بن أبي طالب القروي (ت ٤٣٧) : لم تعرف القيروان وسائر بلاد المغرب عالماً بلغ مبلغ مكي بن أبي طالب في القراءات وعلوم القرآن ، صنف في ذلك ثمانين كتاباً[5] .

---

(١) معالم الإيمان ، ١٨١/١ ؛ محمد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، (بيروت : دار الفكر) ١٠٧/١ .

(٢) عبد الله المالكي ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان ، الطبعة الأولى ، تحقيق : بشير البكوش ، (لبنان : دار الغرب الإسلامي) ، ٩١/١ .

(٣) انظر : شجرة النور ، ٧٤/١ ؛ رياض النفوس (٣٢٤/٢) ؛ عبد الله بن الفرضي ، تاريخ العلماء والرواة بالأندلس ، (القاهرة : مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٧٣هـ) ١١٢/٢ .

(٤) شجرة النور ، ١٠٦/١ .

(٥) انظر : محمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ط : الأولى ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط و آخرون (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م) ٥٩١/١٧ ؛ محمد الضبي ، بغية الملتمس ، (مجريط : روخس ، ١٨٨٤م) ٤٥٥ .

ومنهم أبوبكر عتيق بن أحمد التميمي (ت : ٤٤٧هـ) ، كان عالماً بعلوم القرآن وتخرج عليه الكثير من العلماء[1] .

ثانياً : الحديث وعلومه :

عرفت القيروان رواية الحديث ودرايته منذ عهد الصحابة والتابعين حيث أرسل عمر بن عبد العزيز بعثة لنشر العلم ورواية الحديث في القيروان[2] ، وكانت المدرسة الفقهية بالقيروان فيما بعد تعتمد على الحديث ، وكان فقهها مؤسس على الحديث ولذلك لما عاد أسد بن فرات (ت : ٢١٠) بالأسدية إلى القيروان أنكر عليه أهلها خلوّها من الأحاديث ، وجنوحها إلى الرأي ، وقالوا له : (يا أبا عبد الله جئتنا بالرأي ، وتركت الآثار وما كان عليه السلف) فهذا دليل على تشبث أهلها بالحديث .

وكان هذا النقص في الأسدية من أهم الأسباب التي دفعت بالإمام سحنون إلى أن يرحل بها ليعيد سماعها على ابن القاسم ، فلما فرغ من ذلك أقبل على كبار رواة الحديث من أهل المشرق فسمع منهم حديثاً كثيراً ، أهّله إلى تأصيل مسائل الأسدية برد معظمها إلى أدلتها من الأحاديث والآثار ، وبذلك سد باب الرأي ، وعاد بالفقه المالكي إلى طريقته المدنية المبنية على الحديث و الآثار[3] .

أيضاً فإن طريقة القرويِّين في دراسة المدونة أم المذهب المالكي وعمدته تدل على اهتمامهم بالحديث كقاعدة تعتمد عليها المسائل الفقهية ، فإنهم يعتنون بتصحيح الروايات ، ويتتبّعون الآثار ونحو ذلك قال المَقّري : (وقد كان للقدماء رضي الله عنهم في تدريس المدونة اصطلاحان : اصطلاح عراقي ، واصطلاح قروي ، فأهل العراق جعلوا في مصطلحهم مسائل المدونة كالأساس ، وبنوا عليها فصول المذهب بالأدلة والقياس ، ولم يعرجوا على الكتاب بتصحيح الروايات ، ومناقشة الألفاظ ، ودأبهم القصد إلى إفراد المسائل ، وتحرير الدلائل على رسم الجدليين ، وأهل النظر من الأصوليين . وأما الاصطلاح القروي فهو البحث عن ألفاظ الكتاب ، وتحقيق ما احتوت

---

(1) انظر : معالم القيروان ، ١٨٠/٣ .

(2) أبو العرب محمد القيرواني ، طبقات علماء إفريقية وتونس ، ط : الثانية ، تحقيق : علي الشابي ، نعيم حسن (تونس : الدار التونسية ، ١٩٨٥م) ص ٨٥ ؛ معالم الإيمان ، ٢٠٣/١ .

(3) انظر : محمد الفاضل بن عاشور ، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب ، (تونس : مطبعة النجاح)٢٧-٢٨ ، مدرسة الحديث في القيروان ، ١٧٨/١ .

عليه بواطن الأبواب ، وتصحيح الروايات ، وبيان وجوه الإحتمالات ، والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب ، واختلاف المقالات ، مع ما انضاف إلى ذلك من تتبع الآثار ، وترتيب أساليب الأخبار ، وضبط الحروف على حسب ما وقع في السماع ، وافق ذلك عوامل الإعراب أو خالفها ...)[١] .

وكان من أشهر العلماء في الحديث في هذه الفترة علي بن محمد المعافري المعروف بالقابسي (ت : ٤٠٣) صاحب كتاب مُلَخِص[٢] الموطأ الذي جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك بن أنس في الموطأ وقد احتوى على ٥٢٠ حديثاً[٣] .

ثالثاً : الفقه :

كان المذهبان المالكي والحنفي أكثر المذاهب أتباعاً ، وأوسعها انتشاراً في إفريقية ، إلى أن ألزم المعز بن باديس جميع الناس بمذهب مالك ، و ترك ما عداه حسماً لمادة الخلاف في المذاهب[٤] ، وصار المذهب المالكي بهذا هو المذهب الوحيد بإفريقية مع مطلع القرن الخامس الهجري[٥] .

أيضاً مما ساعد على شيوع المذهب المالكي ، وكثرة أتباعه في القيروان هو اعتماد مُؤسِّسِهِ على الحديث والآثار بالدرجة الأولى وبعده عن الرأي والتأويل[٦] .

حيث كانت الدراسات الفقهية مع مطلع القرن الخامس تمضي وفق مدرسة القيروان الفقهية التي من أهم مميزاتها ارتباطها بالأصول ، فهي (مدرسة أنبتت على فقه الموطأ ، المؤسس على الدعائم الصحيحة من الحديث والآثار ، وغير ذلك مما وقف عليه

---

(١) أحمد بن محمد المَقّري ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق : مجموعة من علماء المغرب ، (المغرب : مطبعة فضالة) ٢٣ .

(٢) كتاب الملخِصّ ضُبط بكسر الخاء ، وضُبط بفتحها ، ومنهم من رجَّح الوجهين ، ولكل تخريجه . قال عياض : (بعض شيوخنا يقول فيه الملخِّص بكسر الخاء ، وترجمة الكتاب تدل على الوجهين ، فإذا كانت الترجمة الملخِّص لمسند الموطأ فهو بالكسر ، قال ابن مكي في كتاب تقويم اللسان : (كذا سماه مؤلفه ، وكذا هو في أكثر النسخ) وإذا كان من مسند الموطأ فبالفتح ، انظر : عياض السبتي ، الغنية فهرست شيوخ عياض ، ط : الأولى ، تحقيق : ماهر جرار ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي) ٤٣ .

(٣) انظر : محمد الكتاني ، الرسالة المستطرفة ، ط : الثانية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠هـ) ص ١٢ ، وقد خرج كتاب الملخِص محققاً .

(٤) انظر : أحمد السلاوي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : ولدَي المؤلف ، (الدار البيضاء : دار الكتاب ، ١٩٥٤) ١/١٣٧ .

(٥) انظر : المؤنس ، ٨٢ .

(٦) انظر : عبد الله المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق : حسين مؤنس ، (القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٥١م) ١١ .

مالك بن أنس رضي الله عنه ، وبنى عليه مذهبه المدعم بما عليه الجماعة بالمدينة المنورة[١] .

وقد شاعت في هذه الفترة كتب أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) "إمام المالكية في وقته ، وقدوتهم ، وجامع مذهب مالك ، وشارح أقواله"[٢] الملقب "بمالك الصغير ، وقطب المذهب"[٣] وعلى يديه في القرن الرابع الهجري استقر المذهب المالكي[٤] ، "فهو الذي لخّص المذهب ، وضمّ نشره ، وذبّ عنه ، وملأت البلاد تآليفه"[٥] فعمد إلى تلخيص المدونة ، وتلخيص المستخرجة ، وألف كتابه الكبير النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات[٦] ، وعلى هذين الكتابين المعول بالمغرب في التفقه[٧] .

ويعد ابن أبي زيد رأساً للمدرسة المغربية التي محت ما قبلها ، وكانت بدءاً للحركة الفقهية المنشورة في عهد صنهاجة إلى إبان الزحف الهلالي[٨] .

وخرّجت القيروان في هذه الفترة عدداً كبير من مشاهير فقهاء المذهب المالكي منهم :

أبو الحسن علي بن محمد المعافري ، المعروف بابن القابسي (ت : ٤٠٣) كان من أصح الناس كتباً ، وأجودهم ضبطاً وتقييداً ، وكان واسع الرواية ، عالماً بالحديث وعلله

---

(١) مالك بن أنس ، الموطأ براوية علي بن زياد ، ط : الرابعة : قطعة منه بتحقيق : محمد الشاذلي النيفر ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٠هـ) .

(٢) إبراهيم بن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تحقيق : محمد الأحمري أبو النور ، (القاهرة : دار التراث) ٤٢٧/١ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء ، ١٧ / ١٠ ، ترتيب المدارك ، ٢١٦/٦ ؛ معالم الإيمان ، ١١٠/٣ .

(٤) انظر : محمد الفاضل بن عاشور ، "المصطلح الفقهي في المذهب المالكي" ، مجلة المجتمع العربي اللغوي ، الدورة الرابعة والثلاثين ، (١٩٦٧م) ، ص ٧٦ .

(٥) الديباج ، ٤٢٧/١ ، ترتيب المدارك ، ٢١٦/٦ .

(٦) ذكر فؤاد سزكين أن عنوان الكتاب "النوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات" ويبدوا أن هذا العنوان غير صحيح ، حيث جاء عنوان الكتاب في مقدمة المؤلف نفسها : (فقد انتهى إلى ما رغبت فيه من جمع النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات من مسائل مالك وأصحابه) .
انظر : فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، نقله إلى العربية ؛ محمود فهمي حجازي (الرياض : جامعة الإمام محمد ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٤م) المجلد الأول ، ج ١٥٢/٣ ؛ مكلبوش موراني ، دراسات في مصادر الفقه المالكي، ترجمة : سعيد بحيري وآخرون (بيروت : دار الغرب الإسلامي) ٧٠-٧٣ .

(٧) انظر ترتيب المدارك ، ٢١٧/٦ ؛ معالم الإيمان ، ١١١/٣ .

(٨) انظر : الورقات عن الحضارة العربية ، ٥٤/٣ .

ورجاله ، فقهياً أصولياً ، مؤلفاً مجيداً ، وهو متأخر في زمانه ، متقدم في شأنه ، جمع بين العلم والعمل ، والرواية والدراية ، له تآليف بديعة منها الممهد رتّبه على أبواب الفقه ، وجمع فيه بين الحديث والأثر والفقه[1] .

ومنهم : أبو بكر بن عبد الرحمن الخَوْلانِيّ (ت : ٤٣٢) وهو شيخ فقهاء القيروان في وقته ، انتفع به الناس ، وكان أصحابه الملازمون له نحو مئة وعشرون كلهم إمام يُقتدى به[2] .

ومنهم : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المصري المعروف باللّبيدِيّ (ت : ٤٤٠هـ) وهو من مشاهير علماء المذهب المؤلفين فيه ، انتفع به خلق كثير ، وقد حاز رئاسة العلم بالقيروان ، له كتاب جامع في المذهب في مسائل المدونة ، وبسطها والتفريع عليها ، وكتاب في اختصار المدونة سماه الملخّص[3] .

ومنهم : أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي ، الصقلي ، الفقيه الفرضي، أحد أئمة الترجيح في المذهب المالكي ، ألف كتاب الجامع كان عليه اعتماد طلبة العلم للمذاكرة في المغرب[4] .

ومنهم عبد الخالق بن عبد الوارث السُّيُوري (ت : ٤٦٢هـ) ، وهو خاتمة علماء القيروان ، كان يملي المدونة من حفظه ، وله عليها تعليق ، وإلى جانب الرئاسة في الفقة كان له اهتمام بالحديث ، والقراءات و الأصول ، والنحو ، وغيرها من العلوم[5] .

على هذه الفئة من الفقهاء وغيرهم ازدهرت مدرسة القيروان الفقهية وبلغت شأواً عظيماً أصبحت من خلاله مقصد طلبة العلم من شتى بلاد المغرب والأندلس ؛ الذين تواردوا عليها للأخذ عن علمائها .

---

(١) انظر : ترتيب المدارك ، ٩٢/٧ - ١٠٠ ؛ الديباج المذهب ، ١٠١/٢ - ١٠٢ ؛ معالم الإيمان ، ١٦٣/٣ .

(٢) انظر : ترتيب المدارك ، ٢٣٩/٧ ـ ٢٤١ ؛ سير أعلام النبلاء ، ٥١٨/١٧ ، معالم الإيمان ، ١٦٥/٣ ؛ شجرة النور ، ١٠٧/١ .

(٣) انظر : المدارك ، ٢٥٤/٧ - ٢٥٥ ؛ معالم الإيمان ، ٧٥/٣ ؛ شجرة النور ، ١٠٩/١ .

(٤) انظر : ترتيب المدارك ، ١١٤/٨ ؛ شجرة النور ، ١١١/١ ، الديباج ، ٢٤٠/٢ ؛ حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العُمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ، ط : الأولى ، مراجعة وإكمال : محمد العروسي المطوي، بشير البكوش ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠م) ١/ ٦٧٦ - ٦٧٨ .

(٥) انظر : ترتيب المدارك ، ٦٥/٨ - ٦٦ ؛ معالم الإيمان ، ١٨١/٣ ؛ الفكر السامي ٢١٢/٢ ؛ شجرة النور ، ١١٦/١ .

وبلغت هذه المدرسة من الازدهار درجة عظيمة غطّت على بقية العلوم التي ظهرت في القيروان ، حتى ساد في الأذهان أن حُذّاق القرويين لا عناية لهم إلا بتحقيق الفقه[١] .

رابعاً : علم العقيدة :

عادت القيروان في عهد المعز بن باديس - الذي تربى على السنة والجماعة - إلى طريقة أهل السنة والجماعة بصفة رسمية ، فاغتبط أهل السنة بذلك وقضوا على المذاهب العقدية الباطلة[٢] .

ويعد أبو عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني (ت : ٣٨٦هـ) هو مجدِّد التوحيد، ومُعيد مذهب السنة والجماعة في الشمال الإفريقي بعد أن أُميت في عهد العبيديِّين[٣] .

وقد ألّف - رحمه الله - تصانيف كثيرة في الرد على من خالف طريقة السَّلف في الأصول ، بل كان شديداً على من خالف هذه الطريقة وحاد عنها[٤] .

كما صنّف - رحمه الله - في عقيدة السلف جملة من المؤلفات منها : أصول التوحيد ، والاقتداء بأهل السنة، والثقة با لله و التوكل عليه ، والرسالة وقد اشتملت مقدمتها على مختصر مفيد ونافع في عقيدة أهل السنة[٥] ، وكتاب السنن وقد تضمن جملة من عقائد السلف[٦] .

وبعد عهد ابن أبي زيد القيرواني زالت العقائد الشيعية من القيروان ، وامَّحت معتقداتهم منها ، وأصبحت إفريقية على العقيدة الصافية عقيدة أهل السنة والجماعة .

---

(١) انظر : ازهار الرياض ، ٣/٢٦ .
(٢) انظر : ابن الأثير الكامل ، ٢٩٤ - ٢٩٥ .
(٣) انظر : الفكر السامي ، ٢/١١٦ ؛ ورقات في الحضارة العربية ، ٣/٥٤ .
(٤) انظر : ترتيب المدارك ، ٦/٢١٨ ؛ سير أعلام النبلاء ، ١٧/١٠ ، عبد الله بن أبي زيد ، عقيدة السلف ونظمها للأحسائي ، ط : الأولى ، تقديم : بكر أبو زيد (الرياض : دار العاصمة ، ١٤١٤هـ) . المقدمة ص (٦).
(٥) اخرجها العلاّمة بكر أبو زيد في طبعة خالية من التصحيف والتحريف كشف فيها ما وقع في بعض الطبعات من الدسائس ، والتعدي والتحريف ، فأجزل الله له المثوبة على نصرته لعقيدة أهل السنة وأهلها .
(٦) انظر : ترتيب المدارك ، ٦/٢١٨ ؛ سير أعلام النبلاء ، ١٧/١٠ ؛ عبد الله بن أبي زيد ، كتاب الجامع في السنن والأداب ، ط : الثانية ، تحقيق : عبد المجيد تركي ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٠م) ، المقدمة ، ٦٦ - ٦٩ .

قال في الاستقصاء : (فبعد أن طهرهم ا لله تعالى من نزعة الخارجية أولاً ، والرافضة ثانياً ، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة ، مقلدين للجمهور من السلف، رضي ا لله عنهم ، في الإيمان بالمتشابه ، وعدم التعرض له بالتأويل ، مع التنزيه عن الظاهر ، وهو - وا لله - أحسن المذاهب وأسلمها)[1] .

خامساً : أصول الفقه :

عرفت القيروان أصول الفقه . وتدارسه المتعلمون كعلم مستقل على يد تلاميذ أبي بكر محمد بن الطيب البَاقِلاّني (ت : ٤٠٣هـ)[2]

ومنهم : أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي[3] (٤٣٠هـ) ، وعبد الخالق بن عبد الوارث السُّيُوري (ت ٤٦٢هـ) .

وكان ابن أبي زيد قد تكلم على بعض مسائل الأصول في كتبه ، حيث تحدث عن الإجماع في كتاب الجامع للسنن[4] وفي النوادر تكلم عن الاجتهاد .

وبعد هذه الجولة السريعة في أهم العلوم الشرعية التي عرفتها القيروان مع مطلع القرن الخامس الهجري نلحظ أن القيروان في ذلك العصر كانت تعيش حياة علمية تعد من أزهر عهودها ، بل أزهرها على الإطلاق .

---

(١) الاستقصاء ، ١/١٤٠ .

(٢) ابو بكر الباقلاني (... - ٤٠٣هـ) .
شيخ السنة ، الفقيه الأصولي ، القاضي ، انتهت إليه رئاسة المالكيين بالعراق له تصانيف عديدة منها ، الإرشاد في أصول الفقه . انظر : شجرة النور ، ٩٢ .

(٣) أبو عمران الفاسي (٣٦٨هـ - ٤٣٠هـ) .
فقيه ، أصولي ، كثير الحديث ، عالم بالرجال ، مقرئ مع زهد وتعبد وصلاح ، سمع من القابسي ؛ وابن عبد البر ، والباقلاني وكان يقول فيه "لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر - وكان إذ ذاك بالموصل - لاجتمع فيها علم مالك ، أنت تحفظه وهو ينصره ، لو رآكما مالك لسُرَّ بكما) .
انظر : ترتيب المدارك ، ٧/٢٤٣ - ٢٥٢ ؛ شجرة النور ، ١/١٠٦ ؛ الفكر السامي ، ١/٢٠٣ .

(٤) الجامع للسنن والآداب ، ١٣٩ .

المبحث الثاني : حياته الذاتية ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسمه ونسبه :

هو محمد بن عبد الله بن يونس التميمي نسباً ، الصِقِلي[1][2] داراً ، المكنى بأبي بكر[3] ، ويقال أبو عبد الله[4] .

أسرته :

أسرته من بيت قيرواني معروف ، استوطنت القيروان ؛ ثم نزحت إلى جزيرة صقلية فنسبت إليها[5] .

وإلا فقبيلة بنو تميم موطنها الأصلي ، وسط جزيرة العرب ، يقول صاحب كتاب الورقات : (الجالية العربية النازحة إلى إفريقية التونسية خلال القرنين الثاني والثالث ، كانت تعدّ بينها وجوها من أبناء البيوتات المشهورين بفصاحة اللسان ، وسعة الأدب ، ووقور الأحساب وأصالة الأنساب[6] .

وقال في كتابه بساط العقيق : (وقد استوطن القيروان وضواحيها من القبائل العربية : التميميون والأنصار الأوس والخزرج ..)[7] .

ولم يذكر المؤرخون شيئاً غير هذا عن حياة والده أو أسرته .

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أن أسرة ابن يونس التميمية كانت مقيمة بالقيروان إلى أن أفل نجم دولة بني الأغلب التميمية سنة ٢٩٦هـ حيث استنكفت أن تقيم بإفريقية فرحلت إلى جزيرة صقلية ، وأقامت بعاصمتها (بلرم) .

يشهد لذلك أن بعض البيوتات العربية التي كانت قد صاهرت بني الأغلب رحلت بعد سقوط الدولة الأغلبية إلى جزيرة صقلية[8] .

---

(١) الصقلي بفتح الصاد والقاف وكسرهما ، ويجوز فتح الصاد وكسر القاف . انظر : علي العدوي ، حاشية العدوي بهامش الخرشي على خليل ، (بيروت : دار صادر) ، ٤١/١ .

(٢) أورد صاحب العمر قصة عن سبب التسمية بالصقلي فقال : (ذكر أبو بكر الصقلي القيرواني ، قال : قال لي أبو الحسن القابسي مرة : كُذِبَ عليّ وعليك فسموني القابسي وما أنا قابسياً ، وإلا فأنا قيرواني . وأنت دخل أبوك مسافراً إلى صقلية فنسب إليها) . العمر : ٢٧٤/١ .

(٣) انظر ترجمته : ترتيب المدارك ، ١١٤/٨ ، الديباج ، ٢٤٠/٢ ؛ الفكر السامي ، ٢١٠/٢ ؛ شجرة النور ، ١١١ .

(٤) انظر : ترتيب المدارك ، ١١٤/٨ ؛ العمر ، ٦٧٧/٢ .

(٥) انظر : العمر ، ٦٧٦/٢ .

(٦) ورقات من الحضارة العربية ، ٣٩٤/١ .

(٧) بساط العقيق ، ص ١٦ .

(٨) انظر : الورقات ، ٤٩٤/١ .

المطلب الثاني : مولده :

ولد الإمام ابن يونس في مدينة (بَلَرْم) عاصمة صقلية ، ولم تشر المصادر إلى تاريخ مولده على وجه التحديد ، إلا أنها أشارت إلى أن ابن يونس انتقل إلى سكنى إفريقية فاستوطن القيروان وكان ذلك ـ في آخر القرن الرابع ـ فأخذ عن شيوخها[1] ، ومعنى ذلك أنه لمّا رحل إلى القيروان كان ما يزال في مرحلة التعليم والطلب ، ومن هنا نرجح أن ولادة ابن يونس كانت قرابة سنة ثمانين وثلاث مئة (٣٨٠هـ) .

المبحث الثالث : حياته العلمية وفيه مطالب :

المطلب الأول: نشأته العلمية .

لم يبسط المؤرخون القول عن بداية تلقي ابن يونس للعلم ومشايخه في مدينة (بَلَرْم) ، واكتفوا بذكر نبذة ضئيلة جداً عن حياته لا تعطينا صورة واضحة لحياة ابن يونس، وهذا ينطبق على كثير من علماء صقلية حيث أن ما كتبه المؤرخون عن حياتهم لا يتناسب مع ماهم من مكانة علمية مرموقة ، وما قاموا ، به من دور بارز في إثراء الجوانب العلمية والتأثير فيها . ولذلك سأتكلم عن نشأته العلمية من خلال المعلومات التي بين أيدينا :

نشأ ابن يونس (ببَلَرْم) عاصمة صقلية التي كانت مأوى لطائفة من العلماء ، ومركزاً من مراكز الفقه المالكي ، وقضى زهرة حياته في بيئة تفوح بعبير العلم والمعرفة ، فلازم أجلَّ فقهاء صقلية في ذلك العصر ، وأشهرهم ، وارتشف من رحيق علمهم حتى تفقه ، وبلغ مرحلة النضج والرسوخ في العلم .

---

(١) انظر : العمر ، ٢/٦٧٦ .

ثم بعد ذلك رحل إلى القيروان واستوطنها ، وكانت زاخرة بطائفة كبيرة من أهل العلم والفضل فأخذ عن أشهر علمائها ، وأعظم شيوخها[١] . حتى أصبح "فقهياً ، إماماً ، عالماً ، فرضياً"[٢] .

" وبرع - رحمه الله - في علوم الدين ، واشتهر بمعرفة الفرائض والحساب " [٣] .

قال فيه صاحب الفكر السامي : "كان فقيهاً ، إماماً ، عالماً ، فرضياً مشهوراً في المذهب"[٤] .

وقال مخلوف : "هو - أي ابن يونس - الإمام ، الحافظ ، النّظار ، أحد العلماء ، وأئمة الترجيح الأخيار ، الفقيه ، الفرضي ، الفاضل"[٥] .

وفيما يلي ألقي الضوء على شيوخ ابن يونس الذين أخذ عنهم .

المطلب الثاني : مشايخه :

تتلمذ ابن يونس على عدد وافر من أجلّ علماء عصره ، وكان ذلك على مرحلتين الأولى في صقلية ؛ والثانية بعد انتقاله إلى القيروان التي أَوْطَنَها ، وسوف أتكلم على شيوخه في كل مرحلة على حدة :-

أولاً : شيوخ ابن يونس في صقلية

١/ القاضي ابن الحَصَائِري (ت ...)

أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحصائِري[٦] قاضي صقلية العالم الفقيه الفاضل ، كان واسع الرواية ، مع تحليه بالورع ومتانة الدين ، سمع أبا محمد بن أبي زيد (ت : ٣٨٦هـ) وغيره ، بثّ في صقلية علماً كثيراً ، حيث درّس الحديث والفقه، وعلى يديه تتلمذ الكثيرون ، ولم يذكر المؤرخون سنة وفاته[٧] .

---

(١) انظر : ترتيب المدارك ، ٨/١١٤ ، الديباج ، ٢/٢٤٠ ؛ الفكر السامي ، ٢/٢١٠ ؛ شجرة النور ، ١١١ ، عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، (بيروت : دار إحياء التراث) ، ١٠/٢٥٢ .

(٢) الديباج ، ٢/٢٤٠ .

(٣) كتاب العمر ، ٢/٦٧٦ .

(٤) الفكر السامي ، ٢/٢١٠ .

(٥) شجرة النور ، ١١١ .

(٦) الحَصَائِري نسبة إلى الحصير على غير قياس ، كذا قاله بعض الشيوخ ، نسبة من حيث بيعها أو عملها . انظر : حاشية العدوي ، ١/٤٠ .

(٧) انظر : ترتيب المدارك ، ٧/٢٦٩ ؛ شجرة النور الزكية ، ١/٩٨ ؛ محمد العروسي المطوي ، سيرة القيروان (تونس : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١م) ص ٤٤ .

٢/ أبو بكر بن أبي العباس (ت ...)

أبو بكر بن أبي العباس الصقلي ، فقيه صقلية ، وعالمها ، ومدرسها ، أخذ عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد ، وعنه أخذ ابن يونس[1][2] ، ولم تذكر كتب التراجم تاريخ وفاته .

٣/ عتيق بن عبد الجبار[3] الربعي الفرضي (ت ....)

أبو بكر الصقلي ، الفقيه الفاضل ، الأديب في القرآن والفرائض ، درَّس المدونة في صقلية ، وكان إماماً في علم الفرائض ، وعنه أخذ أهل صقلية وغيرهم ، دَرَس الحديث على يد أبي الحسن القابسي (ت : ٤٠٣)[4] .

ثانياً : شيوخ ابن يونس في القيروان

في أواخر القرن الرابع الهجري رحل ابن يونس من صقلية إلى القيروان ، وفيها تتلمذ على طائفة من علمائها وذكرت كتب التراجم منهم اثنين ، وهذا لا يلزم منه أن لا يكون قد تتلمذ لقوم آخرين من علماء هذه المدينة التي كانت قِبْلَة للعلم وطلابه .

وفيما يلي أقدم نبذه يسيرة عن شيوخ ابن يونس في القيروان :

١/ أبو الحسن القابسي (٤٠٣هـ) .

وهو علي بن محمد بن خلف المعافِري ، الفقيه ، النُّظار الأصولي ، الإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده ، كان عليه الاعتماد ، وكان من أصح الناس كتباً ، وأجودهم ضبطاً وتقييداً ، له تآليف بديعةً في العقيدة والحديث والفقه[5] .

وقد أخذ ابن يونس عنه الحديث ، قال مخلوف : (وحدث - أي ابن يونس - عن أبي الحسن القابسي) ولعل ذلك كان في كتاب الملخَّص الذي كان يروي ويدرس في صقلية[6] .

---

(١) ترتيب المدارك ، ٢٧٠/٧ ؛ شجرة النور ، ٩٨ ، الديباج ، ٢٤٠/٢ .

(٢) وردت ترجمته في ترتيب المدارك الطبعة اللبنانية متداخلة مع ترجمة الفقيه الصقلي الآخر أبي بكر الفرضي ، انظر طبعة بيروت ، ٧١٦/٤ ، وقد نقل عنها صاحب كتاب الحياة العلمية في صقلية ، وخلط بين الرجلين انظر : الحياة العلمية في صقلية ص ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣) جاء في شجرة النور ، ٩٨ ، أن اسم والده عبد الحميد ، ولعل ذلك تصحيف حيث ذكر صاحب ترتيب المدارك ، ٢٧٠/٧ أن اسم والده عبد الجبار .

(٤) انظر : ترتيب المدارك ، ٢٧٠/٧ ، شجرة النور ، ٩٨ .

(٥) انظر : معالم الإيمان ، ١٣٤/٣ ؛ ترتيب المدارك ، ٩٢/٧ ؛ شجرة النور ، ٩٧/١ ؛ الفكر السامي ، ١٢٢/٣ ؛ معجم المؤلفين ، ١٩٤/٧ .

(٦) انظر : احسان عباس ، العرب في صقلية ، (بيروت : دار الثقافة) ، ص ٩٢ ؛ تقي الدين الدوري ، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط ، (العراق ، وزارة الثقافة) ١٨٧ .

٢ـ أبو عمران الفاسي (ت ٤٣٠) .

هو موسى بن عيسى بن أبي حاج ، أبو عمران الفاسي ، نزيل القيروان ، محدث واسع الرحلة ، كثير الحديث ، عالم بالرجال ، فقيه ، أصولي ، مقرئ مع زهد وتعبد وصلاح ، حصلت له رئاسة العلم بالقيروان ، له تآليف مفيدة منها : التعليق على المدونة، والأمالي في الحديث ، والنظائر في الفقه[1] .

ولقد نقل عنه ابن يونس في كتابه الجامع بعض أقواله وآرائه الفقهية .

المطلب الثالث : تلاميذه :

لما استقر الإمام ابن يونس بالقيروان ، وبلغ درجة الرسوخ في العلم ابتدأ أثره العلمي حيث جلس للطلبة يدرس ويعلم ويفقه يقول صاحب العمر : "أقرأ الفقه والفرائض"[2] .

ومما يؤكد التفاف الطلبة عليه ، والحرص على أن ينهلوا من معينة العذب ما ذكره في مقدمة كتابه الجامع من أنه ألّفه استجابة لرغبة جماعة من طلاب العلم ، فقال : (يسرنا الله وإياكم لرعاية حقوقه ، وهدانا إلى توفيقه ، فقد انتهى إليَّ ما رغب جماعة من طلبة العلم ببلادنا في اختصار كتب المدونة والمختلطة ، وتأليفها على التوالي ، وبسط ألفاظها تيسيراً ، وتتبع الآثار المدونة فيها عن النبي ﷺ وعن أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ، وإسقاط أسناد الآثار ، وكثيراً من التكرار ، وشرح ما أشكل من مسائلها ، وبيان وجوهها ، وتمامها من غيرها ، فسارعت إلى ذلك[3]..) .

ومع نشاط ابن يونس في مجال التدريس والتعليم ، واعتماد الطلاب لكتابه الجامع في المذاكرة[4] ، فإن المصادر القليلة التي ترجمت له لم تشر إلى أحد من تلاميذه الذين

---

(١) انظر : معالم الإيمان ، ٣/١٥٩ ؛ ترتيب المدارك ، ٧/٢٤٣ ، الديباج ، ٢/٣٣٧ ؛ شجرة النور ، ١/١٠٦ ؛ بغية الملتمس ، ٤٤٢ ؛ ابن بشكول ، الصلة في أئمة الأندلس ، صححه : عزت الحسيني (مصر : مكتب نشر الثقافة الإسلامية) ، ٢/٥٥٧ ، سير أعلام النبلاء ، ١٧/٥١٤ ؛ شذرات الذهب ، ٣/٢٤٧ ؛ محمد الحميدي ، جذوة المقتبس ، ط : الثانية ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، ٠بيروت : دار الفكر) ٢/٥٣٧ .

(٢) العمر ، ٢/٦٧٦ .

(٣) محمد ابن يونس " الجامع لمسائل المدونة " (شريط مصور بمعهد البحوث بجامعة أم القرى رقم ١٥٨) ،(جـ ١ ، ل ١) .

(٤) ترتيب المدارك ، ٨/١١٤ .

أقرأهم سواء في القيروان أو في المهدية بعد التجائه إليها عند الزحفة الهلالية ، ومن ثمَّ لم أقف فيما اطلعت عليه على أحد منهم .

المبحث الرابع : مكانته العلمية ومؤلفاته

وفيه مطالب :

المطلب الأول : مكانته العلمية :

مما لا شك فيه أن من وصفه المؤرخون بأنه : الإمام والحافظ والنُّظار ، والفقيه ، والفرضي ، والحسَّاب[1] . سوف يتبوأ مكانة عالية ، ومنزلة رفيعة في المذهب المالكي ، وهذا ما تحقق للإمام ابن يونس حيث بلغ مرتبة عظيمة بين فقهاء المالكية حتى عُدَّ من الذين يعتمد عليهم عند الترجيح في المذهب يقول صاحب الفكر السامي وهو يتكلم عن مكانة ابن يونس في المذهب المالكي : (كان فقيهاً .. مشهوراً في المذهب المالكي ، وهو أحد الأربعة الذين اعتمد الشيخ خليل ترجيحاتهم في مختصره)[2] .

قال خليل : (وبالترجيح لابن يونس كذلك)[3] .

وقال مخلوف في شأنه : (أحد العلماء ، وأئمة الترجيح الأخيار)[4] .

وعلَّلَ ابن عرفه تخصيص ابن يونس بالترجيح بأنه : من ضمن الذين تعبوا في تحرير المذهب وتهذيبه[5] ، وأيضاً لأنه في الغالب يختار من أقوال من سبقه ولا يبتدع قولاً جديداً .قال ابن عرفه : (وخُصَّ ابن يونس بالترجيح ؛ لأن أكثر اجتهاده في الميل إلى بعض أقوال من سبقه ، وما يختاره لنفسه قليل)[6] .

---

(١) انظر : ترتيب المدارك ، ١١٤/٨ ؛ الديباج ، ٢٤٠/٢ ؛ الفكر السامي ، ٢٤٠/٢ ؛ شجرة النور ، ١١١ العمر ، ٦٧٦/١ .

(٢) الفكر السامي ، القسم الثاني ، ٢٤٠/٣ .

(٣) انظر : خليل بن إسحاق ، مختصر خليل مع شرحه جواهر الإكليل ، (بيروت : دار الفكر) ٤/١ .

(٤) شجرة النور ، ١١١ .

(٥) انظر : محمد بن عرفه الدسوقي ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، (بيروت : دا رالفكر) ص٢٢ ؛ علي العدوي ، حاشية علي العدوي على شرح الخرشي ، (بيروت : دار صادر) ٤١/١ .

(٦) حاشية الدسوقي ، ٢٢/١ ، حاشية العدوي على شرح الخرشي ، ٤١/١ .

قال الخرشي وهو يشرح قول خليل : (وبالترجيح لابن يونس) أي مشيراً بمادة الترجيح لترجيح ابن يونس ، لكن إن كان اختياره عن نفسه فيشير إليه بصيغة الفعل الماضي ترجح ، وإن كان الخلاف المنصوص فيشير إليه بصيغة الإسم وهو الأرجح"[١] .

أيضاً لعل من أهم الأسباب التي جعلت ابن يونس يحظى بهذه المكانة العلمية المرموقة في المذهب المالكي هو ما يتمتع به من أمانة علمية عند النقل عن غيره من علماء المذهب . يقول صاحب الفكر السامي وهو يتكلم عن كتاب الجامع له : (وعليه اعتمد من بعده .... لصحة مسائله ووثوق صاحبه)[٢] .

المطلب الثاني : مؤلفاته :

الإمام ابن يونس الذي رُضع بلِبان الفقه المالكي منذ نُعومَة أظفاره ، ونبغ فيه ، ثم أكبّ على تدريسه لطلبة العلم ، كان له جُنُوح إلى التأليف في المذهب ، حيث دفعه شَغفُه بالمدونة وملازمته لها دراسة وتدريساً إلى تأليف كتاب حافل بسط فيه ألفاظها ، وشرح ما أشكل من مسائلها عَنْوَن له : بـ "الجامع لمسائل المدونة ، وشرحها ، وذكر نظائرها وأمثالها" ، قال عياض : ألف شرحاً كبيراً للمدونة[٣] .

وقال صاحب الديباج المذهب : ألف كتاباً جامعاً للمدونة أضاف إليه غيرها من الأمهات[٤] .

وقال صاحب الفكر السامي : ألف كتاباً جامعاً لمسائل المدونة[٥] .

وقال مخلوف : ألف كتاباً حافلاً للمدونة أضاف إليه غيرها من الأمهات[٦] .

هذا وقد نَسبت كتب التراجم للإمام ابن يونس عدداً من الكتب ، فيما يلي نلقي الضوء على هذه الكتب ، ونبيِّن مدى صحة نسبة هذه الكتب إليه :

١/ كتاب الفرائض : وقد نسبه إليه عياض فقال وهو يترجم لابن يونس : "وألف كتاباً في الفرائض"[٧] .

---

(١) الخرشي علي خليل ، ١/٤٠ .
(٢) الفكر السامي ، ٢/٢١٠ .
(٣) ترتيب المدارك ، ٨/١١٤ .
(٤) الديباج ، ٢/٢٤٠ .
(٥) الفكر السامي ، ٣/٢٤٠ .
(٦) شجرة النور الزكية ، ١١١ .
(٧) ترتيب المدارك ، ٨/١١٤ .

وتابعه في ذلك صاحب الديباج فقال وهو يتكلم عنه:"ألف كتاباً في الفرائض"[١].

وأيضاً نسبه له صاحب شجرة النور الزكية[٢]، وصاحب كتاب العُمر[٣] وصاحب معجم المؤلفين[٤].

ولقد بحثت عن هذا الكتاب خلال زيارتي للمغرب، وتونس، ومصر، ونَقّبت في فهارس أشهر المراكز المَعْنِيّة بالمخطوطات فيها، فلم أعثر فيها على مخطوط لابن يونس بعنوان (الفرائض).

ومن خلال استقرائي لكتاب الجامع لمسائل المدونة، وجدت أن ابن يونس قد تكلم على أحكام المواريث في موضعين:

الموضع الأول: في كتاب الولاء والمواريث حيث أورد فصولاً تتعلق بالمواريث آخرها فصل بعنوان: "جامع القول في المواريث وذكر الميراث بالشك، والتداعي والشهادة في ذلك، وميراث ابن الملاعنة، والمرتد والمسلم للنصراني، وذكر الإقرار بوارث"[٥].

وبعد أن أنهى الكلام على مسائل هذا الفصل قال: "وهذا باب واسع أوعبه إن شاء الله تعالى في كتاب الفرائض"[٦].

الموضع الثاني: في كتاب الفرائض، وهو جزء من كتاب الجامع وضعه ابن يونس بعد كتاب الحدود وقبل الكتاب الأخير - وهو كتاب بعنوان الجامع أيضاً تكلم فيه عن أحكام شتى تتعلق بما يجب على المكلفين، وأبواب مختلفة في المواعظ، وشيء من سيرة النبي ﷺ وغيرها - ووضع له مقدمة بدأها بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله ثم ذكر أنه كان قد شرط في كتاب الولاء والمواريث أن يفرد الفرائض بكتاب مستقل.

وفيما يلي أورد مقدمة المؤلف لكتاب الفرائض ليتفطن الناظر إلى أن كتاب الفرائض ما هو إلا جزء من كتاب الجامع لمسائل المدونة، وليس كما زعم المترجمون لابن يونس أنه كتاب مستقل. وهي كما يلي:

---

(١) الديباج المذهب، ٢/٢٤٠.
(٢) انظر: شجرة النور الزكية، ١١١.
(٣) انظر: كتاب العمر / ٦٧٦/١.
(٤) انظر: معجم المؤلفين، ٢٥٢/١٠.
(٥) انظر: محمد بن يونس: "الجامع لمسائل المدونة" (الرباط: المكتبة الحسنية رقم (١١٦١٤)، شريط مصور (خاص) (جـ٣ ل ٤٥ - أ).
(٦) الجامع لمسائل المدونة، (جـ ٣، ل ٤٧ - ب).

((الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الأخيار الطيبيِّين .

أما بعد : يسّرَنا الله وإياك لطاعته وتوفيقه ، وهدانا لصالح طريقِه فقد كنا شرطنا في كتاب الولاء والمواريث من كتاب الجامع لمسائل المدونة أنا نضع كتاباً مختصراً جامعاً لأصول الفرائض وتفريعاتها واختلاف وجوهها ، وتوجيه أقوال المُختَلفِين ؛ رغبة لما عند رب العالمين))[1] . وبهذا يتضح أن كتاب الفرائض جزء من كتاب الجامع وليس كتاباً مستقلاً كما زعم بعض المؤرخين .

٣/ الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والأحكام .

وقد نسبه إليه صاحب كتاب العُمر[2] .

وقد أشار القائمون على إخراج كتاب العمر وإكماله أن المؤلف قد اتبع في هذا بروكلمان ، واعتمد بروكلمان نفسه ما جاء في فهرس القرويين المطبوع بفاس سنة ١٩١٧م فقد جاء فيه اسم هذا الكتاب منسوباً تحت رقم (٨٤٨) ص ٧٤ لأبي عبد الله بن يونس المالكي فرغ منه سنة ٥٢٨هـ بينما جاء في الرقم (٩٤٨) ص ٨٠ منسوباً لأبي محمد بن دبوس الزناتي . واعتبر بروكلمان سنة (٥٢٨هـ) تحديداً للعصر الذي عاش فيه ابن يونس بينما اعتبر المؤلف ذلك تاريخاً لكتابة النسخة لا غير . وتاريخ فراغ ابن دبوس من تأليف كتابه سنة (٥٢٨هـ) يبعد نسبته لابن يونس فضلاً على أنه ذكر في الموضع الثاني رقم (٩٤٨) منسوباً لمؤلفه الحقيقي ابن دبوس[3] .

ومن الأدلة الدالة على أن الكتاب ليس لابن يونس أنه جاء ذكر الكتاب في المعيار منسوباً لأبي محمد بن دبوس[4] .

وقد حاولت عام ١٤١٣هـ في شهر ربيع الثاني أثناء زيارتي لجامع القرويين بفاس الإطلاع على هذا المخطوط بعد أن عثرت على رقمه ضمن فهارس الجامع القديمة ،

---

(١) محمد بن يونس ، "الجامع لمسائل المدونة" ، (مكة المكرمة ، معهد البحوث بجامعة ام القرى ، شريط مصور برقم ٢٦١) (جـ ٣ ، ل ٢٣٦ ـ ب) .
(٢) انظر : كتاب العُمر ، ٦٧٧/٢ .
(٣) كتاب العمر ، ٦٧٨/٢ .
(٤) أحمد الونشريزي ، المعيار المعرب ، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف : محمد حجي ، ٠بيروت : دار الغرب الإسلامي) ٨ / ٤٢٢ .

وطلبت من المسؤول عن قسم المخطوطات إحضاره ، فاعتذر قائلاً أنه غير موجود ، ولربما كان ضمن جملة من المخطوطات توجد في مكان يصعب إخراجه منه .

٤/ كتاب المقدمات في الفقه :

نسبه صاحب كتاب العمر لابن يونس[1] كما نسبه له بروكلمان في ملحقه[2] ، ومعتمدهما في ذلك فهرس جامع القرويين القديم حيث جاء تحت رقم (٨٤٣) ص (٧٣) منسوباً لابن يونس .

وقد حاولت الإطلاع عليه عند زيارتي لجامع القرويين ، ولكن لم أتمكن من ذلك، حيث اعتذر المسئول عن قسم المخطوطات .

٥/ كتاب الشهادات :

وقد نسبه إليه بركلمان في ملحقه[3] ، وقد وهم في ذلك حيث ورد في فهرس جامع القرويين القديم تحت رقم (٩٣٣) ص (٧٩) أنه جزء من كتاب الجامع لمسائل المدونة أوله الرجوع عن الشهادات .

---

(١) انظر : كتاب العمر ، ٦٧٧/٢ .

(٢) ملحق بروكلمان ، ٦٦٣/١ نقلاً عن كتاب العمر .

(٣) ملحق بركلمان ، ٦٦٣/١ ، نقلاً عن كتاب العمر .

المبحث الخامس : ثناء الناس عليه وإشادتهم به ووفاته

المطلب الأول : ثناء الناس عليه وإشادتهم به

الإمام ابن يونس أحد الأعلام المبرِزين الثقات من فقهاء المالكية ، عدَّه علماء المذهب من كبار الفقهاء البارعين في الفرائض والحساب(١) .

ثم اتفقت كلمة المترجمين له على أنه أحد أئمة الترجيح عند المتأخرين الذين يعتمد على ترجيحاتهم(٢) .

وإضافة إلى ذلك كان مَنْعُوتاً بالنجدة ، كثير الجهاد في سبيل الله عز وجل .

قال صاحب المدارك وغيره (كان ملازماً للجهاد موصوفاً بالنجدة)(٣) .

هذا وقد أشرت في ما سبق إلى بعض النصوص التي أشادت به وبمكانته الفقهية .

المطلب الثاني : وفاته

توفى الإمام ابن يونس - رحمه الله - بعد حياة عامرة بجلائل الأعمال ، وعاش أكثر من ستين أوسبعين حجة طالباً ، ومدرساً ، ومفتياً ، ومؤلفاً ، ومناظراً ، ومجاهداً ، متسماً بسمات العلماء الأخيار من صلاح ، وتقى ، ومسارعة في نجدة الآخرين رحمه الله تعالى ، وأغْدق عليه شآبيب رحمته ورضوانه .

وقال صاحب الديباج : "توفي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربع مئة ، وقيل في أول العشر الأواخر من السنة المذكورة"(٤) .

وكانت وفاته بمدينة المهدية ، ثم نقل منها عبر البحر إلى مدينة المنستير(٥) ، حيث لم يكن بالمهدية مقابر إنما كانوا يدفنون موتاهم بالمنستير ، وقبره معلوم بالمنستير يقع تحت

---

(١) انظر : ترتيب المدارك ، ١١٤/٨ ؛ الديباج ٢٤٠/٢ ؛ شجرة النور ، ١١١ ، العمر ، ٦٧٦/١ .

(٢) انظر : الفكر السامي ، ٢١٠/٢ ؛ شجرة النور ، ١١١ ؛ الخرشي على خليل ، ٤١/١ ؛ وانظر ص (٥٠،٥١) " من الجامع لابن يونس " .

(٣) انظر : ترتيب المدارك ، ١١٤/٨ ، الديباج ، ٢٤٠/٢ ؛ شجرة النور ، ١١١ ، الفكر السامي ،٢١٠/٢.

(٤) الديباج ، ٢٤٠/٢ ؛ شجرة النور ، ١١١ ، العمر ، ٦٧٦/١ ؛ الفكر السامي ، ٢١٠/٢ .

(٥) المُنَسْتِير : بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وسكون السين المهملة ، وكسر التاء ، مدينة تونسية بين المهدية وسوسه، كان يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم . انظر : معجم البلدان ، ٢٠٩/٥ - ٢١٠ .

أسوار قصر الرباط[1] حذو بوابته ، وخلال زيارتي للمنستير عام (١٤١٣هـ) شاهدت هذا القبر منفرداً ـ يحيط به سياج معدني ، وقد كتبت عليه عبارة "قبر المرحوم الإمام ابن يونس" .

هذا ولم نعرف عن حياة ابن يونس العائلية إلا نزراً يسيراً ، لا يُنقع غُلّة الباحث ، ولا يكمل جوانب حياته ، حيث لم تذكر كتب التراجم أو غيرها هل خلف ذرية أو لا ؟ .

---

(١) حصن عظيم يقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، كانت مهمته حراسة المسلمين خشية نزول الأعداء من جهة البحر ، بناه هرثمة بن أعين سنة ١٨٠هـ ، وأصبح هذا القصر فيما بعد مركزاً علمياً ، نافس مسجد القيروان في نشر العلوم الشرعية ، وكانت توجد به مكتبة جامعة تضم نفائس الكتب وأعظم الذخائر ، كما كان هذا الرباط داراً لنسخ الكتب ومقابلتها .
انظر : معجم البلدان ، ٢٠٩/٥، يوسف الكتاني ، مدرسة البخاري في المغرب ، بيروت : دا رلسان العرب ، ٤٧٩/٢ .

الفصل الثاني

التعريف بالجامع لمسائل المدونة

الفصـــل الثـــاني

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : عنوان الكتاب .

المبحث الثاني : السبب الباعث على هذا الكتاب .

المبحث الثالث : منهج ابن يونس في الجامع .

المبحث الرابع : منهج ابن يونس في عرض المادة العلمية .

المبحث الخامس : اسلوب الكتاب .

المبحث السادس : مصادر الجامع .

المبحث السابع : مصطلحات ابن يونس .

المبحث الثامن : تقييم الكتاب .

المبحث التاسع : أهمية الكتاب ومنزلته العلمية .

المبحث العاشر : اعتماد المؤلفين اللاحقين على الجامع .

المبحث الحادي عشر : تأثيره الفكري على الاتجاهات الفكرية في الدراسات الشرعية .

التعريف بالجامع لمسائل المدونة

وهو يشتمل على عدة مباحث

المبحث الأول : عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف : وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عنوان الكتاب :

عنوان الكتاب كما هو مسطور على مخطوطات الكتاب التي اطلعت عليها في مظانها ، وعلى النسخ المصورة في المراكز العلمية : "الجامع لمسائل المدونة والمختلطة وآثارها وزياداتها ونظائرها وشرح ما أشكل منها وتوجيهه والفرق بينه وبين ما شاكله مجموع بالاختصار وإسقاط التكرار وإسناد الآثار" .

ودرج أغلب المترجمين لابن يونس على اختصار عنوان الكتاب : تارة باسم الجامع[1] ، وتارة بالشرح الكبير على المدونة[2] ، وتارة باسم الجامع لمسائل المدونة والنوادر[3] وتارة بالجامع لمسائل المدونة والمختلطة[4] .

وابن يونس نفسه نص على اسمه مختصراً فقال : "الجامع لمسائل المدونة"[5] .

المطلب الثاني : نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

أما في نسبة الكتاب لمؤلفه فلا يتطرق إليها الشك البتّة للأدلة التالية :

أولاً : أن عنوان الكتاب جاء مقروناً باسم مؤلفه على أغلفة المخطوطات الأصلية ، والمخطوطات المصورة .

ثانياً : أن المؤلف قد نصَّ على الكتاب في تضاعيف كتابه ونسبه إليه .

ثالثاً : أن بعض كتب الكتاب وفصوله صُدرت باسم مؤلفه .

رابعاً : أن كل لوحة من المخطوط تُمَيّز أقوال ابن يونس بتصديرها بالحرف (م) وفي بعض النسخ يقابل الحرف (م) قال محمد بن يونس .

خامساً : أن الذين ترجموا لابن يونس نسبوا الكتاب إليه[6] .

---

(1) انظر : الديباج ، ٢٤٠/٢ ؛ الفكر السامي ، ٢٤٠/٣ .

(2) انظر : ترتيب المدارك ، ١١٤/٨ .

(3) انظر : الفكر السامي ، ٢٤٠/٣ .

(4) انظر : تاريخ التراث ، ١٥٣/٣ .

(5) " الجامع لمسائل المدونة " (مكة المكرمة ، معهد البحوث بجامعة أم القرى شريط مصور برقم ٢٦١) ، (جـ ٣ ، ل ٢٣٦ - ب) .

(6) انظر : ص (٤٩) ، (٥٠) ، (٥١) " من هذه الدراسه .

سادساً : أن الذين اقتبسوا من الكتاب ينسبون هذه الإقتباسات لابن يونس[١] .

فكل هذه الأدلة لا تدع مجالاً للشك أن الكتاب بهذا الاسم للإمام ابن يونس رحمه ا لله .

المبحث الثاني : السبب الباعث على هذا الكتاب

عُني الإمام ابن يونس عناية بالغة بالمدونة ، فألقاها دروساً أمام طلابه الذين طلبوا إليه أن يكتب لهم فاستعان با لله ، واستجاب لمطلبهم ، ونهض بهذا العمل الجليل . ولقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه الجامع فقال : "يسرنا ا لله وإياكم لرعاية حقوقه ، وهدانا إلى توفيقه ، فقد انتهى إليّ ما رغب فيه جماعة من طلبة العلم ببلادنا في اختصار كتب "المدونة" و"المختلطة" ، وتأليفها على التوالي ، وبسط ألفاظها تيسيراً ، وتتبع الآثار المدونة فيها عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي ا لله عنهم ، وإسقاط إسناد الآثار ، وكثير من التكرار ، وشرح ما أشكل من مسائلها ، وبيان وجوهها ، وتمامها من غيرها فسارعت إلى ذلك رجاء النفع به ، والمثوبة عليه ـ إن شاء ا لله تعالى ـ ، وأدخلت فيه مقدمات أبواب كتب أبي محمد بن أبي زيد ـ رحمه ا لله ـ وزياداته إلا اليسير منها ، وطالعت في كثير منها ما نقله في النوادر ، ونقلت كثيراً من الزيادات من كتاب ابن المواز ، والمستخرجة ، ولم أخل النظر إلى نقل أبي محمد واختصاره فيها ، وعَوَّلت على الأثر عنده من ذلك ، وربما قدمت أوأخرت مسائل يسيرة إلى شكلها ، لئلا يفوت قراءتها قارىء موعده في الأمهات ، ورأيت العناية بذلك محمود ، والخير فيه مأمول..."[٢] .

المبحث الثالث : منهج ابن يونس في (الجامع)

مقدمة الكتاب خير مُعبِّر عن المنهج الذي وضعه المؤلف نُصب عينيه عند التأليف، وقد سَجَّلتُ في المبحث السابق فاتحة المصنف ، وانطلاقاً منها يمكن تلخيص منهجه في النقاط التالية : ـ

١ـ اختصر المؤلف كتاب "المدونة" و"المختلطة" ، معتمداً في اختصاره على مختصر ابن أبي زيد ، وتهذيب البراذعي عليه حيث هناك تطابق كبير بين نص مختصر المدونة وما يذكره المؤلف منسوباً للمدونة .

---

(١) مثل مواهب الجليل : والتاج والإكليل ، والتوضيح ، وشرح التهذيب وغيرها .

(٢) انظر : الجامع لمسائل المدونة ، (جـ ١ ، ل ٣ ـ أ) .

٢ـ إلتزم المؤلف عند عرضه لمسألة معينة أن يبدأها بذكر قول الإمام مالك من المدونة[١] .
٣ـ إلتزم المؤلف في ترتيب كتابه ترتيب المدونة ومختصراتها .
٤ـ عمل على بسط ألفاظ مختصر المدونة بتوسيع العبارات .
٥ـ حرص على أن يستهل مطالع أبواب الكتاب بأصول من الكتاب والسنة على طريقة المؤلفين السابقين[٢] .
٦ـ أورد المؤلف آثاراً عن الصحابة رضوان الله عليهم و التابعين مراعياً عند ذكرها حذف الإسناد[٣] .
٧ـ توخّى المؤلف أن يتفادى التكرار في ذكر المسائل ، وذلك ما حداه إلى أن يجمع المسائل المتماثلة من بابين أو أكثر في باب واحد ، فإذا عرضت مرة أخرى يبين أنه سبق أن أوعبها في باب كذا[٤] .
٨ـ قام بشرح ما أشكل من مسائل المدونة ، وبيّن وجوهها وتمامها من غيرها من أمهات الفقه المالكي .
٩ـ أدخل المؤلف مقدمات أبواب كتب أبي محمد بن أبي زيد وعبد الحق الصقلي ، وزياداتهما إلا اليسير منها[٥] .
١٠ـ فرّغ المؤلف كتاب النوادر والزيادات بعد اختصاره في كتابه ، بل إنه قد يُلَخّص كتاباً كاملاً من النوادر يُطعمه بنقول قليلة من غيره ، كما فعل في كتاب "آداب القضاء" حيث استخلصه من النوادر[٦] .
١١ـ إذا لاحظ المؤلف أن في ما نقله ابن أبي زيد من الأمهات اختلاطاً فإنه يعود إليها وينقل عنها . قال ابن يونس : "وقد طالعت في هذه المسألة الأمهات ، وعولت عليها إذ كان في نقل أبي محمد اختلاط)[٧] .

---

(١) انظر : ص (٥٦٢) ، (٤٣٠) ، (٤٠٢) "من هذا البحث" .
(٢) انظر : ص (٣٥٦) ، (٥٣٣) ، (٧٠٦) " من هذا البحث " .
(٣) انظر : ص (٤٢٢) ، (٢٣٦) ، (٢١٥) "من هذا البحث " .
(٤) انظر : ص (٣٣٤) "من هذا البحث " .
(٥) انظر : ص (٢) "من هذا البحث" .
(٦) انظر : ص (٧٣٧) "من هذا البحث" .
(٧) انظر : ص (٣٣٤) "من هذا البحث" .

١٢- وضّح المصنف المسائل الفقهية التي لها علاقة بالحساب وقد أسهب في بيانها إسهاباً عجيباً ، تجلّت فيه قدرتُه الحسابية التي أشاد بها المترجمون له[١] .

١٣- يحقق المؤلف المسائل الخلافية بذكر آراء أئمة المذهب ، مع العناية بذكر الدليل والتعليل ، ثم بعد ذلك يوازن بين هذه الآراء ويبيِّن الراجح من المرجوح والصواب من الخطأ[٢] .

وهناك أمور أخرى نهجها ابن يونس ، بل دارت في مثاني كتابه ، فلا بد من التنبيه عليها استكمالاً للموضوع ، فنوضحها فيما يلي :

١- قسم ابن يونس جامعه إلى كتب وأبواب وفصول ، حيث يبدأ الكتاب بذكر عنوانه ، ثم يُرْدِفه بعنوان كبير ينتظم مسائل يربطها موضوع واحد ، ثم بعد ذلك يشرع في تفصيل أحكام المسائل الواردة في العنوان حسب ورودها فيه يُعنون أحياناً لهذا المسائل بكلمة فصل ، وغالباً ما يبين أحكامها دون أن يصدرها بشيء من ذلك .

٢- يستهل مطالع الكتب والأبواب بذكر أدله من الكتاب والسنة ، وأحياناً بأقوال السلف ، وتارة بذكر قواعد عامة يقوم القضاء عليها مثل قوله في صدر كتاب العيوب والتدليس . "والقضاء أن ما أصاب السلعة بيد المبتاع من عيب ثم ردها بعيب أن يضمن ما نقصها عنده" هذا هو الطابع الغالب ، وقد عدل عن هذا المسلك في بعض المواضع .

٣- عند بيان أحكام مسألة معينة فإنه يصدرها بنص مختصر المدونة وذلك بقوله : "ومن المدونة" وقد يضمنه أحياناً جملاً اعتراضية على سبيل التوضيح والتبيين .

ثم بعد ذلك يسرد نصوصاً من أمهات كتب المالكية الأخرى كالواضحة والعتبية ، والموازية ، والمجموعة تتضمن أقوالاً أخرى من المسألة ، أو تقييداً ، أو تفصيلاً ، أو مسألة

(١) انظر : ص (٦٤٨) "من هذا البحث" .
(٢) انظر : ص (٤٩٨) "من هذا البحث " .

أخرى قريبة أو مشابهة لمسألة المدونة ثم يعقب ذلك بأقوال شيوخه من القرويين كأبي الحسن القابسي ، وأبي عمران الفاسي ، وأبي بكر بن عبد الرحمن أو بآراء أصحابه كعبد الحق الصقلي ثم يختم المسألة بموازنته بين هذه الأقوال وترجيحه لأحدها في الغالب، وقد يورد قولاً جديداً يصوبه وهذا قليل .

٤ـ يستطرد ابن يونس في بعض المواطن فيورد مسائل ليست في المدونة ، وإنما يقتبسها من أمهات الفقه المالكي ، وفي الغالب أنه لا يتعرض لها بتحليل أو تعليق أو توجيه .

٥ـ هناك مسائل ظاهرها أنها متعارضة فيحاول التوفيق بينها .

٦ـ يهتم المؤلف بإظهار الفروق بين المسائل المتشابهة في الأصل المختلفة في الحكم .

٧ـ يلحق المصنف أحياناً مسألة بمسألة ـ استدلالاً بالقياس ة ؟ .

٨ـ يشرح المؤلف بعض الكلمات الغريبة ، ولكنه لم يلتزم هذا النهج في كل مواطن الكتاب .

٩ـ يضمن المؤلف كلامه أحياناً قاعدة أو أصلاً انبنى عليه الحكم الشرعي في مسألة ما ، وقد يُفضي به هذا التأصيل إلى ذكر النظائر والمسائل المتشابهة والتي لها الحكم نفسه .

المبحث الرابع : أسلوب الكتاب

تأثر أسلوب "الجامع" ـ الذي يميل إلى حصر المعاني الكثيرة في عبارات قليلة ـ ببواعث تأليفه ، وظروف تدوينه : وهي اختصار "المدونة" و"المختلطة" ، وأيضاً بالعصر الذي عاش فيه مؤلفه وهو عصر المختصرات ، وهي طريقة تأصلت ورسخت منذ القرن الرابع[1] الهجري ، وعلى الجملة ، فأسلوب "الجامع" أسلوب علميٌّ مركزٌ خالٍ من شوائب الاستطراد المُملة ، وفي الغالب أنه مفهوم ، لكنه ليس بسهل سلس رَسْلٍ إذ يكتنفه شيء من الصعوبة والغموض ، ويجد القاريء مشقة وعناء في إدراك ما انطوت

---

[1] مع ظهور ابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) بدأ عهد المختصرات حيث عمد إلى تلخيص (المدونة) ، (والمستخرجة) ، ثم جاء بعده البراذعي (ت : ٤٣٨) تلميذ ابن أبي زيد (بتهذيبه للمدونة) ، واختصاره (للواضحة) ، وظهر معاصراً له القاضي عبد الوهاب بالعراق فألف مختصره الذي سماه (التلقين) ، وظهر معاصراً لهما أيضاً ابن أبي زمنين (ت :٣٩٩هـ) الذي اختصر المدونة في كتابه (المغرب) وهكذا توالت المختصرات إلى القرن التاسع الهجري .
انظر : المصطلح الفقهي في المذهب المالكي ، ص ٨٧ .

عليه الكلمات والعبارات من معاني ، وذلك بسبب المسائل الفقهية الدقيقة التي يتعرض لها المؤلف .

يضاف إلى ذلك أن قدرات المصنف الحسابية طغت على بعض الموضوعات الفقهية فأحالتها إلى مسائل حسابية . مما زاد الطين بِلّة .

ثم إن هذا الكتاب سار على النهج القديم ، الذي يميل إلى جمع الآراء والأقوال المتضادة والمتباينة تارة ، والمتشابة تارة أخرى ، مع عدم تحليلها والتعليق عليها بصورة تُجلّيها وتُوضحها . وهذا في مواطن كثيرة من الكتاب ، يقابلها مواضع ـ وهذا في مسائل المدونة على الخصوص ـ أبانها المؤلف بعبارات واضحة جلية ، وقطع بالحكم فيها بترجيحات لا يتطرق إليها الاحتمال ، مثل : هذا أبين ، وهذا أقيس ، وهذا أرجح ، وهذا صواب وغيرها .

المبحث الخامس : مصادر الجامع

استخلص الإمام ابن يونس ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الكتاب الحافل "الجامع" المادة العلمية الغزيرة المبثوثة في مصادر الفقه المالكي المتداولة في عصره ، والكتب التي ركز عليها ، واقتبس منها كثيراً هي أمهات الفقه المالكي المتداولة في عصره ، وبخاصة الكتاب العُجاب النوادر والزيادات لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ـ رحمه الله ـ (ت : ٣٨٦هـ) ، وبذلك يعد كتاب الجامع مَصَبٌّ جهود العلماء السابقين لابن يونس.

وفيما يلي نجيل النظر في أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن يونس ، سواء التي صرح بها ، أو التي لم يصرح بها ، ولكنه نسب ما ينقله منها إلى بعض الفقهاء دون ذكرهم أو ذكر كتبهم ، لكن من خلال التتبع والاستقراء تم الوقوف على أصحابها .

ومما لا شك فيه أنها غيض من فيض ، ولكنها تمثل مصادره الرئيسة والتي كان المعول عليها في إنجاز هذه المعلمة الفقهية الحافلة .

١ـ الموطأ للإمام مالك بن أنس (ت : ١٧٩هـ) :

يعد الموطأ أول مصنف حديثي دخل إفريقية والقيروان ، وقد أقبل عليه القرويّون بالرواية والمدارسة والحفظ والشرح[1] ولا شك أن كتاباً هذه حاله سوف يكون مصدراً من مصادر الجامع .

٢ـ كتاب المدونة لسحنون بن سعيد التنوخي (ت : ٢٤٠هـ) .

المدونة هي أم المذهب المالكي وعمدته ، وهي من المصادر الأولية الأصلية المعول عليها في المذهب المالكي ظل الفقهاء يتناولونها دراسة وتدريساً ، وحفظاً وشرحاً ، وتعليقاً عبر القرون الماضية . وعليها قام كتاب الجامع لابن يونس حيث هي العمود الفقري لكتابه ، ذلك أن الباعث على تأليفه هو بسط ألفاظها وشرح ما أشكل من مسائلها لكن المدونة بعد ظهور مختصراتها تركت ، وأصبحت مسائلها لا تؤخذ إلا من طريقها ، وبالأخص مختصر البراذعي المعروف "بتهذيب البراذعي"[2] .

وكان جلّ اعتماده على "مختصر المدونة" ، والتهذيب عليها المسمى "بتهذيب مسائل المدونة" حيث عندما يقول ومن المدونة فإن المقصود والمراد هو "التهذيب على المدونة" ، ذلك أن إطلاق لفظ المدونة على التهذيب أمر شائع ، واصطلاح سائغ . قال صاحب الطليحة :

واعتمدوا التهذيب للبراذعي ... وبالمدونة بالبراذعي[3]

٣ـ مختصر المدونة لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، (ت : ٣٨٦هـ)[4] وهو مختصر بديع يتميز بسلاسة العبارة ، وحسن التنظيم ، دبَّجه يراع ابن أبي زيد من المدونة والمختلطة ، قال ابن خلدون : "اختصر ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر" . ويحتوي كتاب المختصر على خمسين ألف مسألة[5] . وقد بقي هذا الكتاب

---

(١) مدرسة الحديث بالقيروان ، ١/٢٦٧ .

(٢) انظر : المصطلح الفقهي في الفقه المالكي ، ٨٧ .

(٣) النابغة القلاوي ، الطليحة ، ط : الأولى ، (سنة ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) ص ٧٩ .

(٤) يوجد منه شريط مصور بمكة المكرمة ، بمعهد البحوث وإحياء التراث بجامعة أم القرى ، رقم (١٩٠) ، وقد وَهَم من قام بعنونة هذا المخطوط حيث جعله جزء من كتاب النوادر والزيادات وفي واقع الأمر هو مختصر المدونة.

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ط : الأولى ، ضبط : يوسف الطويل ، (بيروت : دار الكتب ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ص ٣٤١ .

مرجع الجميع حتى ظهر التهذيب على مسائل المدونة "للبراذعي" ، حيث عول الناس عليه وتركوا المختصر ، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله : "واعتمده المشيخة من أهل إفريقية ، وأخذوا به وتركوا ما سواه"[١] وقد شرحه القاضي عبد الوهاب[٢] .

ويظهر تأثر ابن يونس بكتاب المختصر واضحاً وجلياً من خلال التطابق الواضح حتى في بعض عناوين الأبواب والفصول .

٤- التهذيب على المدونة لأبي القاسم خلف البراذعي (ت : ٤٣٨هـ)[٣] .

هذا الكتاب اتبع فيه المؤلف طريقة ابن أبي زيد إلا أنه ساقه على نسق المدونة ، وحذف ما زاده ابن أبي زيد ، وقد حصل عليه الإقبال شرقاً وغرباً ، تعلماً وتعليماً ، وشرحاً ، وتعليقاً ، واختصاراً من أئمة المالكية ، وتركوا به المدونة ومختصراتها ، وشغل دوراً مهماً قبل ظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي ، وقد انتقد عليه عبد الحق الصقلي (٤٦٦هـ) أشياء أحالها عن أصلها في كتابه الاستدراك على تهذيب البراذعي[٤] .

هذا وقد أفرغ ابن يونس هذا المختصر في كتابه ، وقام بشرح ما أشكل منه ، إلا إنه لم يلتزم ترتيبه حيث يضم المسائل المتشابهة في أبواب مختلفة في باب واحد .

٥- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات[٥] لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت : ٣٨٦هـ) .

هذه المعلمة الفقهية نالت مكانة سامية بين فقهاء المالكية ؛ لأنها ضمت بين مثانيها ما كتبه أئمة المالكية خلال أربعة قرون ملخصاً مهذباً يقول ابن خلدون : "وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب النوادر ، فاشتمل على جميع أقوال المذهب ، وفَرَّغ الأمهات كلها في هذا الكتاب ، ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على المدونة"[٦] .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، (تونس : الدار التونسية للنشر) ، ٥٤٧/٢ .
(٢) ترتيب المدارك ، ٢٢٢/٧ ، الفكر السامي ، ٢٠٤/٤ .
(٣) يوجد منه نسخة مصورة على أشرطة في معهد البحث بجامعة أم القرى تحت رقم (١٥١) ، (٢٥٩) (٢٨٩-٢٩٢) .
(٤) انظر : ترتيب المدارك ، ٢٥٦/٧ ، ٢٥٧ ؛ الفكر السامي ، ٢٠٩/٤ ، ٢١٤/٤ .
(٥) يوجد في أشرطة مصورة بمعهد البحث بجامعة أم القرى تحت أرقام عدة منها (٢٩٧) (٢٩٩) (٣٠٠) .
(٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ٥٤٧/٢ .

وقال صاحب الفكر السامي : "كتاب النوادر والزيادات على المدونة أوعب فيه الفروع المالكية ، فهو في المذهب المالكي كمسند أحمد عند المحدثين ، إذا لم توجد فيه

المسألة فالغالب أن لا نص فيها ، ينيف على المئة جزء[1] ، وله مختصر المدونة ، وعلى هذين الكتابين معول المالكية في عصور بعده وفي عصره"[2] .

وقد نقل ابن يونس معظم كتاب النوادر في كتابه ، وأشار إلى ذلك في فاتحته حيث قال : "وأدخلت فيه مقدمات أبواب كتاب ابن أبي زيد رحمه الله وزياداته إلا اليسير ، وطالعت في كثير منها ما نقله في النوادر"[3] .

هذا وقد تعقَّب ابن يونس ابن أبي زيد في بعض ما نقله في النوادر من الأمهات إذا رأى في نقله خلطاً . قال ابن يونس في كتاب آداب القضاة : "وقد طالعت في هذه المسألة الأمهات ، وعَوَّلت عليها إذ كان في نقل أبي محمد اختلاط"[4] .

وابن يونس في اقتباسه من النوادر يلتزم عبارته في الغالب مع الحرص على اختصارها ، وفي بعض المواطن يركب نصاً كاملاً من مواطن مختلفة في النوادر من فصل واحد فيقدم ما أخره صاحب النوادر ، ويؤخر ما قدمه[5] .

وفي بعض المواطن قد يختصر كتاباً كاملاً من النوادر يضمه إلى الجامع كما فعل في كتاب آداب القضاة[6] .

٦- تهذيب العتبية[7] لأبي محمد بن أبي زيد (ت :٣٨٦) .

---

(١) يوجد نسخة كاملة من الكتاب في مكتبة أياصوفيا بتركيا تحت الأرقام من (١٤٧٩ إلى ١٤٩٧) أي أن الكتاب يقع في تسعة عشر مجلداً عدد لوحات كل مجلد ما بين (١٨٠ لوحة) و(٣٨٠لوحة) . وقد أشار العلاّمة الدكتور بكر أبو زيد في مقدمته لرسالة عقيدة السلف لابن أبي زيد أن كتاب النوادر رهن التحقيق الآن في تونس ، ص ٦ .

(٢) الفكر السامي ، ١١٦/٣ .

(٣) الجامع لابن يونس ، النسخة الأزهرية ، (جـ١ ، ل ٣ ـ أ) .

(٤) انظر ص (٣٣٤) "من هذا البحث" .

(٥) انظر ص (٥١٤) "من هذا البحث " . (والنوادر جـ ٩ ل ١٧٤ أ ٢ب) .

(٦) انظر ص (٧٣٧) "من هذا البحث " .

(٧) اطلق الفقهاء على هذا الكتاب اسمين أحدهما : المستخرجة على أساس أنها مستخرجة مما سبقها من الأمهات ، وأقوال علماء المالكية ، وثاني الاسمين نسبه إلى مؤلفها ، وقد اختار ابن ابي زيد هذا الإسم عندما هذبها.
انظر : ابن أبي زيد وكتابه النوادر ، ص ٤٢٣ .

العتبية أو المستخرجة ألّفها الفقيه محمد بن أحمد المعروف بالعتبي (ت :٢٥٥) ، ثم قام ابن أبي زيد بتهذيبها فيما يعرف بتهذيب المدونة .

والعتبية تعد إحدى أمهات الفقه المالكي في الأندلس قال فيها ابن حزم : "لها عند أهل إفريقية القدر العالي والطيران الحثيث" . وتكلم فيها محمد بن الحكم فقال : "رأيت جُلّها كذباً ، ومسائل لا أصول لها"[١] .

وقد استفاد منها ابن يونس وذكر ذلك في مقدمته فقال : "ونقلت كثيراً من الزيادات من كتاب ابن المواز والمستخرجة ، ولم أخل النظر إلى نقل أبي محمد واختصاره فيها"[٢] .

٧- الموازية : لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإسكندراني ، المعروف بابن المواز (ت : ٢٦٩هـ) .

هذا الكتاب من أمهات كتب المالكية يدل على ذلك ما ذكره عياض في شأنه حيث قال : وله - أي ابن المواز - كتابه المشهور الكبير ، وهو أجلّ كتاب ألّفه قدماء المالكيين ، وأصحه مسائل ، وأبسطه كلاماً ، وأكثره استيعاباً للمسائل ، وجمعاً للأقوال، و قد رجحه أبو الحسن القابسي على سائر الأمهات ، وقال : إن صاحبه قصد بناء فروع المذهب على أصوله ، وغيره إنما قصد جمع الروايات ، ونقل منصوص السماعات[٣] .

وهو من جملة المصادر التي نص ابن يونس على أنه قَبَس منها في "الجامع" .

٨- المعونة لمذهب عالم المدينة للقاضي عبدالوهاب بن نصر التغلبي البغدادي (ت:٤٢٢هـ) .

هذا الكتاب من كتب الفقه المالكي التي عُنيت بالتدليل ، وذكر الخلاف ، حيث يمتاز بشموليته على جميع الأحكام الفقهية في عبارة موجزة سهلة ، مصحوبة باستدلالتها، مع ذكر أقوال المخالفين من الحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، والظاهرية ، وغيرهم من الفقهاء .

---

(١) انظر : الفكر السامي ، ١٠٠/٣ ؛ ترتيب المدارك ، ٢٥٢/٤ - ٢٥٤ .
(٢) انظر : الجامع للنسخة الأزهرية ، (جـ١ ، ل ٣ - أ) .
(٣) انظر : ترتيب المدارك ، ١٦٩/٤ ؛ سير أعلام النبلاء ، ٢/٩ ؛ الفكر السامي ، ١٠١/٣ .

وقد استفاد ابن يونس من هذا الكتاب ، ونقل عنه نصوصاً عديدة ، وبخاصة المسائل التي يرد فيها ذكر المذاهب الأخرى ، أو المسائل التي تحتاج إلى التدليل[1] .

وهو يصدر نُقُوله من كتب عبد الوهاب بقوله : قال القاضي عبد الوهاب ، أو يقول : قال بعض البغداديين .

٩- الإقناع لابي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت : ٣١٨هـ) .

١٠- تهذيب الطالب وفائدة الراغب لعبد الحق القرشي الصقلي (ت : ٤٦٦هـ) .

وهو شرح كبير على المدونة لم يتمه المؤلف حيث بلغ فيه إلى نهاية كتاب العيوب والتدليس .

وقد استفاد ابن يونس من هذا الكتاب استفادة كبيرة ؛ حيث يستأنس المؤلف في توجيهه لما يرجحه بما ذكره عبد الحق في كتابه ، ويصدر ابن يونس نقوله من تهذيب الطالب بقوله :

"قال بعض أصحابنا ، أو قال بعض شيوخنا القرويين" .

١١- النكت والفروق لمسائل المدونة لعبد الحق القرشي الصقلي (ت : ٤٦٦هـ) .

وقد أكثر ابن يونس النقل من هذا الكتاب ، ومنجهه في النقل عنه منهجه في النقل عن تهذيب الطالب .

الكتب التي استفاد منها ابن يونس من خلال كتب أخرى :

هناك كتب يظهر أن ابن يونس لم يرجع إليها مباشرة إنما نقل منها من خلال كتب أخرى ، يؤكد هذه الحقيقة أن النص الذي يورده ابن يونس منسوباً إلى هذه الكتب يختلف في تركيب العبارة مع ما فيها ، ويتفق مع الكتب التي نقلت منه مباشرة . ولعل كتاب النوادر والزيادات أهم الكتب التي أخذ منها ابن يونس نصوصاً لكتب لم يرجع إليها مباشرة .

وفيما يلي أذكر بعض هذه الكتب : ـ

---

[1] انظر : عبد الوهاب البغدادي ، المعونة ، تحقيق : حميش عبد الحق ، (رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى) ٤٨/١ - ٤٩ .

١- منتخب الأحكام لأبي عبد الله محمد بن أبي زَمَنين[1] (ت : ٣٩٩هـ) .

هذا كتاب ابتدع به مؤلفه طريقة جديدة في التأليف وهي طريقة التأليف في الأحكام وإجراءات النوازل ، وتحقيق النكت المتعلقة بالأحكام والوثائق والعقود .

وهذه الطريقة زادت في توسيع المعاني الفقهية من حيث تطبيقها على الحياة العلمية ، وأحكمت الربط بين الأعراف الجارية في العوائد وفي الأوضاع التجارية والفلاحية والصناعية وبين مقتضيات الحكم الشرعي في إجراء النوازل[2] .

وابن يونس عند نقله عن منتخب الأحكام يقول في الغالب : قال بعض الأندلسيين .

وقد قارنت بعض النصوص الموجودة في الجامع منسوبة إلى ابن أبي زمنين وبين كتاب المنتخب فوجدت أن العبارة التي في الجامع مختصره وتوافق ما في النوادر والزيادات ، وهذا يؤكد عدم رجوع ابن يونس إليه مباشرة .

٢- المختصر لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت ٢١٤) لابن عبد الحكم ثلاثه مختصرات هي :

١/ المختصر الكبير : وقد اختصر فيه كتب أشهب وفيه ثماني عشرة ألف مسالة .

٢/ المختصر الأوسط : وفيه أربعة آلاف مسالة .

٣/ المختصر الصغير : قصره على علم الموطأ وفيه ألف مسألة ومائتان[3] .

وقد ذكر صاحب كتاب دراسات في مصادر الفقه المالكي : أن ابن أبي زيد اقتبس من المختصر الكبير ، والصغير[4] .

وبهذا يكون المختصر الكبير والصغير من مصادر ابن يونس التي ينقل منها عن طريق ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله .

٣- كتاب شرح المختصر الكبير لأبي بكر الأبهري (ت : ٣٦٥هـ)[5] .

٤- كتاب الزيادات على المختصر الصغير لابن عبد الحكم لمؤلفه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن البرقي (ت : ٢٧٩هـ)[6] .

---

(١) يوجد منه نسخة مصورة على شريط بمعهد البحوث بجامعة أم القرى ، وهناك أحد الباحثين بالجامعة يقوم على تحقيقه .
(٢) انظر : المصطلح الفقهي في المذهب المالكي ، ص ٨٧ - ٨٨ .
(٣) انظر : ترتيب المدارك ، ٣٨٦/٣ ؛ الفكر السامي ، ٩٥/٣ .
(٤) انظر : دراسات في مصادر الفقه المالكي ، ص ١٥٧ .
(٥) انظر : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ؛ ترتيب المدارك ، ٧٢/٧ .
(٦) انظر : ترتيب المدارك ، ١٨٠/٤ ؛ ابن أبي زيد وكتابه النوادر ، ٤١٤ .

٥ـ كتب محمد بن سحنون التنوخي (ت : ٢٥٦هـ) [١] .

ويبدو أن ابن أبي زيد قد استقى من كتابه "الجامع" الذي يضم "كتابه الكبير" "وكتاب الشرح" مقدماً لذلك بقوله : من كتاب ابن سحنون[٢] ، وعلى ابن أبي زيد اعتمد ابن يونس فيما ينقله عن هذا الكتاب .

٦ـ "المجموعة على مذهب مالك وأصحابه" لمحمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير ت (٢٦٠هـ)[٣] .

وهي إحدى أمهات الكتب في الفقه المالكي التي أعجلت المَنِيّة صاحبها قبل إتمامها ؛ و هي عبارة عن خمسين جزءاً ، ومن الأرجح النظر إليها على أنها تضم كل مؤلفات ابن عبدوس[٤] .

وهي من أهم مصادر ابن أبي زيد في النوادر والزيادات[٥] ، وقد اقتبس ابن يونس منها عن طريقه .

٧ـ الواضحة والسماع لعبد الملك بن حبيب السلمي (ت : ٢٣٨هـ)[٦] .

هي إحدى الأمهات في الفقه المالكي ، وأصل المذهب في الأندلس ، وقد سلك فيه مؤلفه مسلك مالك في الموطأ يقول الحميدي ، "وله ـ أي ابن حبيب ـ الكتاب الكبير المسمى بالواضحة في الحديث والمسائل على أبواب الفقه في أحاديثه غرائب كثيرة" .

اقتبس ابن أبي زيد من الواضحة ، وتفتتح هذه الإقتباسات بعبارة "من كتاب ابن حبيب" أو "قال ابن حبيب" ، ونادراً ما تفتتح بعبارة "ومن الواضحة" .

ويشير أحياناً إلى أبواب معينة في مؤلفات ابن حبيب .

"قال ابن حبيب في كتاب الأحكام" "روى ابن حبيب في كتاب الصدقات"[٧] .

وعلى نهج ابن أبي زيد سار ابن يونس في إفادته من كتاب الواضحة والسماع.

---

(١) ترتيب المدارك ، ٤/٢٠٤-٢٢١ ؛ الديباج ، ٢/١٧١ ـ ١٧٢ ؛ الفكر السامي ، ٣/٩٩ ؛ دراسات في مصادر الفقه المالكي ، ١٦١ .

(٢) انظر : دراسات في مصادر الفقه المالكي ، ١٦١ ـ ١٧٠ .

(٣) انظر : رياض النفوس ، ١/٣٦٠ ، والبيان المغرب ، ١/١١٦ ؛ معالم الإيمان ٢/٩٠ ؛ الفكر السامي ، ٢/١٠٠ ؛ الديباج ، ٢/١٧٥ .

(٤) انظر : دراسات في مصادر الفقه المالكي ، ص ١٤٧ .

(٥) المصدر السابق ، ١٤٦ .

(٦) انظر : ترتيب المدارك ، ٤/١٢٢-١٤٢ ؛ الديباج ٢/٨-١٥ ؛ جذوة المقتبس ، القسم الثاني ، جـ ٧ ، ص ٤٤٧ .

(٧) دراسات في مصادر الفقه المالكي ، ١٥٤ ـ ١٦٠ .

١- إذا قال " بعض أصحابنا " ، فهذه عبارة ينقلها وما بعدها -في الغالب - عن عبد الحق الصقلي في كتابه (النكت) أو كتابه (شرح تهذيب الطالب) .

٢- إذا قال "أبو الحسن" يقصد به شيخه علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي .

٣- يكثر في الكتاب استعمال الحرف "م" ويراد بذلك المصنف ، وهذا اقتصار على الحرف الأول من اسم محمد ، وهذا المصطلح يظهر أنه من صنيع ابن يونس نفسه ، يدل على ذلك ما أشار إليه الراهوني في حاشيته[1] .

٤- إذا قال "بعض البغداديين" يقصد به القاضي عبد الوهاب البغدادي .

٥- إذا قال في "كتاب محمد" يقصد الموازية لمحمد بن المواز .

٦- إذا قال "عبد الملك" يقصد به عبد الملك بن الماجشون .

٧- إذا قال "أبو محمد" يقصد به عبد الله بن أبي زيد القيرواني .

٨- إذا قال "شيوخ صقلية" فالمقصود به أبو بكر بن أبي العباس حيث نقل عبد الحق الصقلي في النكت نصاً صدره بقول : قال شيوخ صقلية ولما نقل ابن يونس هذا النص في الجامع صدره بعبارة : قال شيخنا أبو بكر بن أبي العباس .

٨- إذا قال "فقهائنا المتأخرون" : فالذي يظهر - والله أعلم - أن المقصود به أبو إسحاق التونسي ، حيث نقل الزرويلي نصاً من كلام ابن يونس مصدراً بقول : قال فقهاؤنا المتأخرون ولما كمل النص قال الزرويلي : وهذا التفصيل لأبي إسحاق .

٩- إذا قال : (قال بعض الأندلسيين) فإنه يشير إلى ابن أبي زمنين في كتابه منتخب الأحكام .

المبحث السابع : تقويم الكتاب

أولاً : خصائص الكتاب :

١- الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ففي الغالب تجد مطالع الكتاب والأبواب مفتتحة بها .

٢- العناية بالتدليل والتعليل من الكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة ، والاستئناس بأقوال التابعين ، ففي الغالب تجد أن الأحكام مقرونة مكلّلة بالدليل .

---

[1] انظر : حاشية الراهوني على مختصر الزرقاني ، ٣٥٤/٥ .

٣ـ من محاسنه أنه يضبط الأحكام الكثيرة بأصول جامعة تضبط هذه الفروع مثل قول "ولا يجوز سلف جر منفعة ، أو يقول في الإجارة : إذا ضربا لذلك أجلاً وسميا ثمناً" .

ومثل هذه القواعد العامة تُيسر على القاريء العديد من الفروع ، وتجعله على طرف الثُمام من الموضوع .

٤ـ الاهتمام بترجيح الراجح من الأقوال أو الروايات المروية عن الإمام ، وبذلك كان الإمام ابن يونس أحد الأئمة الذين لمعت أسماؤهم في طبقة المرّجحين عند المالكية المتأخرين .

٥ـ ومن خصائصه إيضاح نص المدونة من كافة جوانبه مستنداً على أقوال علماء المذهب.

٦ـ الكشف عن العديد من أقوال وآراء مشايخ المذهب الذين فُقدت كتبهم ، ولكن بقيت أقوالهم محفوظة من خلال الكتب التي نقلت عنهم .

ثانياً : المآخذ على الكتاب :

هذا الكتاب على مزاياه العديدة ، وخصائصه الفريدة لم يَخْلُ من ملحوظات يسيرة محدودة لا تؤثر في قيمة الكتاب العلمية ، ومكانته العالية ، وليس هناك عالم لم يُمَس جنابه بنقد أو كتاب يجلُّ عن تعقيب ، حاشا ما صدر عن النبي المعصوم ﷺ .

ومن هذه المآخذ :ـ

١ـ عدم العناية الكاملة بعزو القول إلى صاحبه في بعض المواضع ، ومن ذلك أنه استفاد كثيراً من كتب عبد الحق القرشي ولم يشر إلى أحد كتبه التي استفاد منها ، أو يذكر اسمه كما فعل مع غيره ، وإنما يكتفي بقوله قال بعض اصحابنا ، وهذا غمط لعبد الحق القرشي رحمه الله .

٢ـ استشهاده ببعض الأحاديث الضعيفة مثل (إن من حديثي ناسخاً و منسوخاً فخذوا بآخر حديثي) .

٣ـ إقحامه المسائل الحسابية في المسائل الفقهية واسترساله في ذلك بطريقة تعمل على اتساع بعض المسائل ، الأمر الذي يؤدي إلى اجهاد العقل في أمور طويلة الذيل قليلة النيل[1] .

---

[1] انظر : ص (٦٤٨) ، (٦٣١) "من هذا البحث" .

ولا شك أن إسهاب ابن يونس في ذلك يؤكد مدى ألمعيته في علم الحساب وتفوقه فيه .

٤- اللبس في بعض الأسماء التي يوردها حيث تحتمل أكثر من شخص مثل قوله قال : ابن ابي أويس ، ولأبي أويس ولدان فلا يعرف أيهما يقصد[١] ، وقوله قال ابن لبابة[٢] : وهناك أكثر من فقيه بهذا الاسم .

٥- تأخيره للرأي الراجح عن موضعه في بعض مواطن الكتاب ، حيث يسترسل المؤلف بذكر مسائل متعددة ثم بعد ذكرها كلها يعود للمسألة الأولى ويذكر الرأي الراجح فيها ، والأولى ذكر الرأي الراجح الخاص بكل مسألة بعدها مباشرة .

المبحث الثامن : أهمية الكتاب ومنزلته العلمية

"الجامع لمسائل المدونة" كتاب فقهي قيم ينطوي على مادة علمية غزيرة ، وثروة فقهية كبيرة ، أكد ذلك عبارات الإشادة والتبجيل التي وصف بها من لدن ثلة من العلماء ، وما حظي به من مكانة مرموقة في مجال الإفتاء والتدريس ، وما ناله من رتبة عالية بين مدونات الفقه المالكي .

وفيما يلي أسوق جملة من الأمور تبين بوضوح المنزلة العلمية العالية التي تبوءها هذا الكتاب مكلّلة بشواهد مما قاله بعض العلماء .

١- ضم الجامع بين مثانيه أقوال وآراء علماء أئمة المذهب السابقين له .

قال ابن خلدون مؤكداً هذا الأمر : "وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع أقوال المذهب ، وفرّغ الأمهات كلها في هذا الكتاب ، ونقل ابن يونس معظمه في كتابه الجامع على المدونة[٣].

٢- من أهم سمات هذا السفر الحافل ، وثوق العلماء بصحة ما فيه من مسائل ، وما حواه من فروع حتى وسِم بأنه مصحف المذهب .

---

[١] انظر : ص (٥١١) "من هذا البحث" .
[٢] انظر : ص (١٧٥) "من هذا البحث " .
[٣] مقدمة ابن خلدون ، ٥٤٧/٢ .

قال صاحب الفكر السامي : "وعليه اعتمد من بعده ، وكان يسمى مصحف المذهب ، لصحة مسائله ، ووثوق صاحبه"[١] .

وقال صاحب الطليحة :

واعتمدوا الجامع لابن يونس وكان يدعى مصحفاً لكنه نسي[٢]

٣ـ سلك المؤلف في كتابه نهج التحقيق الأصيل ، والتحرير الجيد حتى أصبح عمدة في الترجيح والتصحيح .

يقول صاحب الفكر السامي : (وهو أحد الأربعة الذين اعتمد الشيخ خليل ترجيحاتهم)[٣] .

أكد ذلك خليل حيث قال في مقدمة مختصره : "مبيناً لما به الفتوى فأجبت سؤالهم بعد الاستخارة مشيراً بفيها إلى المدونة .. وبالترجيح لابن يونس"[٤] .

٤ـ أن الكتاب يكاد يكون قد غطى أهم الفروع الفقهية المهمة التي لها صلة وثيقة بمسائل المدونة . وفيما يلي نذكر ما يشهد لذلك :

حكى الرَّصاع[٥] عن بعض شيوخه أنه أوصاه بالمذاكرة في كتاب الجامع لابن يونس ؛ لأن القاضي ابن حيدره[٦] كان يقول عليكم بابن يونس فإنه عجوز الدار[٧] ، وهو مروي كله ، ولذا يقول فيما لم يروه وهذا لم أروه .. قال فلما حصلت عليه كنت كلما نزلت بي نازلة ربما أعتقد أنها في المدونة ، ولا أُعين محلها من الكتاب إلا بتعب ،

---

(١) الفكر السامي ، ٢١٠/٣ .

(٢) الطليحة ، ص ٨٠ .

(٣) الفكر السامي ، ٢١٠/٣ .

(٤) مختصر خليل مع شرحه جواهر الإكليل ، ٤/١ .

(٥) محمد الرصاع (... ـ ٨٩٤هـ) .
محمد بن قاسم الرصاع الأنصاري التونسي ، قاضي الجماعة بها وإمامها ، له شرح حدود ابن عرفه ، وشرح على البخاري ، وتاليف في الفقه كبير . انظر : شجرة النور الزكية ، ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٦) احمد بن حيدره (٦٨٢هـ ـ ٧٧٨هـ) .
هو أحمد بن محمد بن قاسم بن حيدره التونسي ، قاضي الجماعة بتونس ، كان عالماً بمذهب مالك ، عارفاً بعلم الجرح والتعديل صالحاً . انظر : شجرة النور ، ٢٠٠ ؛ فهرسة الرصاع ، ١٥٠ .

(٧) يقصد أن شرح ابن يونس للمدونة يعد من أكبر شروحها وسيدها ، كما أن الدار التي بها مجموعة من الناس سيدها أكبرها سناً .

فكان عندي الجامع لابن يونس فافتتح الكتاب من الموضع الذي اعتقد أن النازلة به فانظر فأجدها فنتذكر فراسة الشيخ ونصحه[(١)] .

٥- اهتمام المصنف بالتدليل أو التوجيه أو التعليل لأقوال الإمام وأقوال أعيان المذهب .

٦- النقل عن كثير من أمهات الكتب المفقودة ، أو التي لم يعثر عليها حتى الآن من مراجع المذهب مثل كتاب المبسوط للقاضي عبد الوهاب ، والواضحة لابن حبيب ، والمجموعة وغيرها .

٧- تقدم مؤلفه حيث عاش في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الهجري ، وهذه المرحلة تعد حلقة الوصل بين المتقدمين والمتأخرين من المذهب حيث تمثل هذه المرحلة امتداداً لمرحلة الازدهار الفقهي الذي بدأت في القرن الثاني الهجري[(٢)] .

٨- أن كتاب الجامع قد لقي أهمية عظمى عند علماء المالكية الذين جاؤوا بعد ابن يونس حيث أولوه أهمية قصوى عندما جعلوه من أهم الكتب التي يعتمد عليها في الفتوى فقد ذكر في المعيار : أن المعتمد في الفتوى الموطأ ، والمنتقى ، والمدونة ، وابن يونس (ويقصد جامعه) ، والمقدمات ، والبيان ، والنوادر[(٣)] .

المبحث التاسع : أثر كتاب الجامع على المصنفات المالكية

بلغ كتاب ابن يونس شأواً عظيماً ، وشأناً كبيراً عند فقهاء المالكية ، حيث كان الاعتماد عليه في التعلم والتعليم ، والفتوى ، والترجيح ، فهو شرح حافل بالنفائس ، حاوٍ لكثير من الفروع الممتعة يستقيها المصنف من أمهات كتب المالكية ولا شك أن كتاباً بهذه السمة حقيق بأن يعد مصدراً يعتمد عليه من بعده ، وهذا ما تحقق له حيث تداولته أيادي الفقهاء في عصر المؤلفين وفي عصور تلته .

وفيما يلي أسوق طرفاً من الكتب - خلال عصور مختلفة - اقتبست من الجامع :-

١- كتاب "الذخيرة" لأحمد بن ادريس القرافي[(٤)] (ت : ٦٨٤هـ) .

٢- كتاب "شرح تهذيب البراذعي" لعلي الزرويلي[(٥)] حيث نقل معظم أقوال ابن يونس ، فالنصوص التي صدرت بـ (م) في الجامع نقلها الزرويلي برمزها .

---

(١) انظر : محمد الأنصاري ، فهرست الرصاع ، تحقيق : محمد العناني ، (تونس : المكتبة العتيقة) ص ١٤٨ .

(٢) انظر : في الفقرات (٥) (٦) (٧) تقرير لجنة الدراسات العليا المشكلة لدراسة امكانية تحقيق كتاب الجامع.

(٣) انظر : المعيار ، ١٠٩/١١ ؛ عمر الجيدي ، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ، (المغرب : منشورات عكاظ ص ١٠٣ .

(٤) هو احمد ابن إدريس الصنهاجي ، المعروف بالقرافي ، المصري ، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك ، كان بارعاً في الفقه والأصول والتفسير وغيرها ، من مصنفاته (القواعد) و(شرح التهذيب) وغيرها توفي عام ٦٨٤هـ . انظر : الديباج المذهب ، ٢٣٦/١ ؛ شجرة النور ، ٨٨/١ .

(٥) هو علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي ، أبو الحسن ، قاضي فاس ، قيدت عنه تقاييد على التهذيب وعلى رسالة بن أبي زيد ، قيدها تلاميذه ، توفي عام (٧١٩هـ) .
انظر : الديباج المذهب ، ١١٩/٢ ؛ شجرة النور ، ٢١٥/٢ .

٣- كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، لعلي بن محرز الخزاعي[١] .

٤- كتاب "التوضيح" شرح "جامع الأمهات" لخليل بن إسحاق الجندي (ت : ٧٦٧).

٥- كتاب "التاج والإكليل شرح مختصر خليل" عمر بن يوسف المعروف (بالمواق)[٢] (ت: ٨٩٧هـ) .

٦- كتاب "مواهب الجليل شرح مختصر خليل" لمحمد[٣] بن أحمد المعروف (بالحطاب ت(٩٥٤هـ) .

٧- كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب" . لمحمد الونشريسي[٤] (ت : ٩١٤هـ) .

٨- شرح الزرقاني على مختصر خليل ، لعبد الباقي الزرقاني (١٠٩٩هـ) .

٩- شرح الخرشي على مختصر خليل لمحمد بن عبد الله الخرشي (١١٠١هـ) .

١٠- حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر خليل . لمحمد بن أحمد بن محمد ابن يوسف الرهوني .

أما بالنسبة للأعمال التي تناولت الجامع لابن يونس فلم أقف إلا على عمل واحد لعيسى[٥] الزواوي ، حيث اختصر جامع ابن يونس .

---

(١) هو علي بن محمد بن أحمد بن موسى الخزاعي ، أبو الحسن ، من أسرة أندلسية عرفت بالفقة والعلم ، ولي القضاء بالأندلس ، تولى الأشغال السلطانية ، وقد عرف بعلمه في الفقه والحديث والحساب ، توفى عام (٧٨٩هـ) . انظر : شجرة النور ، ٢٣٨/١ ؛ الأعلام ، ٦/٥ .

(٢) هو محمد بن يوسف العبدوسي الغرناطي ، أبو عبد الله ، خاتمة علماء الأندلس وشيوخها الكبار ، له شرحان على مختصر خليل وهما في غاية الجودة في تحرير النقول الموافقة لقول المصنف ، مع الاختصار البالغ غايته ، توفي عام (٨٩٧هـ) . انظر : شجرة النور ، ٢٦٢/٢ ؛ الأعلام ، ١٥٤/٧ .

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، المغربي الأصل ، المكي المولد المعروف بالحطاب ، كان شغوفاً بالعلم مقبلاً عليه ، فقيهاً أصولياً ، له مؤلفات كثيرة منها (تحرير الكلام في مسائل الالتزام) ، (شرح مناسك خليل في الفقه وغيرها) و(شرح على مختصر خليل) استمد منه كل من شرحه بعده وهو أكثر الشروح تحريراً ، توفي عام (٩٥٤هـ) بمكه . انظر : الفكر السامي ، ٢٧٠/٢ ؛ شجرة النور ، ٢٧٠/١ .

(٤) هو أحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني ثم الفاسي ، عالم محقق ، مطلع ، كتابه المعيار ، أتى فيه على كثير من فتاوي المتقدمين والمتأخرين ، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعي وغيره توفي عام (٩١٤هـ).
انظر : عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس ، تحقيق : احسان عباس ، الطبعة (الثانية) ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ) ، ١١٢٢/٢ ؛ شجرة النور ، ٢٧٤/١ ؛ الأعلام ، ٢٦٩/١ .

(٥) هو عسيى بن مسعود المنكلاتي الزواوي ، الفقيه العالم ، انتهت إليه رئاسة الفتوى بمصر ، شرح صحيح مسلم وشرح مختصر ابن الحاجب توفي عام (٧٤٣هـ) .
انظر : توشيح الديباج ، ١٦٧ ، شجرة النور ، ٢١٩/١ .

المبحث العاشر : تأثيره الفكري على الاتجاهات الفكرية في الدراسات الشرعية

العقلية الفذة التي كان يتمتع بها ابن يونس والملكة الفقهية التي عرف بها والقدرة الفائقة على التاليف والتي تجلت من خلال كتابه الجامع والذي جاء على نسق فقهي واضح ، ظهرت من خلال آرائه واجتهاداته التي كان عليها المعول في الترجيح عند متأخري المالكية عندما اعتمد خليل ابن اسحاق في مختصره المشهور ترجيحات ابن يونس ، خاصة إذا علمنا أن السبب في اختيار ترجيحات ابن يونس ترجع إلى المهارة الظاهرة والجهد المتميز الذي أبداه ابن يونس في تحرير المذهب وتهذيبه مع الإلتزام به[1] .

ولذلك كان تأثيره الفكري فيمن أتى بعده واضحاً و جلياً ، وأيضاً فإن ابن يونس عاش في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري ، وهذه المرحلة تعد حلقة وصل بين المتقدمين والمتأخرين من المذهب ، وهنا ندرك أهمية ما يمثله هذا الكتاب بالنسبة للفكر الفقهي بصفة عامة والفقه المالكي بصفة خاصة ، إذ هذه المرحلة تعد امتداداً للمرحلة التي بدأها ابن أبي زيد في القرن الرابع الهجري[2] .

(١) انظر : حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، ١/٢٢ ؛ مواهب الجليل ، ١/٣٥ .

(٢) المصطلح الفقهي في المذهب المالكي ، ص ١٤ .

الفصل الثالث

تأريخ تأليف المختلطة والمدونة وشروحها ومختصراتها

الفصل الثالث : تاريخ تأليف المختلطة والمدونة وشروحها ومختصراتها

المبحث الأول : تاريخ تأليف المختلطة والمدونة وأهميتها :

أصل المدونة كتاب الأسدية لأسد بن الفرات النيسابوري الأصل التونسي الدار ، كان من علماء القيروان ، تتلمذ على يد علي بن زياد المتوفي عام (١٨٣هـ) ثم ارتحل إلى المشرق ووصل المدينة عام (١٧٢هـ) فسمع من مالك وأخذ عنه الموطأ[١]، ولكنه أكثرَ على مالك في السؤال وألح عليه في بيان أحكام كثير من التفريعات ، فقال له : (حسبك يا مغربي إن أحببت ا لرأي فعليك بالعراق) وقد تحدث أسد بن الفرات عن ذلك فقال : لقد كان أصحاب مالك : ابن القاسم وغيره يجعلونني أسأل مالكاً عن مسألة ، فإذا سألته أجابني ، فيقولون لي : فلو كان كذا وكذا ، فأقول له ، فضاق عليّ يوماً فقال لي : سلسله بنت سليسله ، إذا كان كذا وكذا كان كذا وكذا ، إن أردت هذا فعليك بالعراق ، قال أسد : فقلت لأصحابي : تريدون أن تأخذوا العقارب بيدي لا أعود إلى مثل هذا[٢].

وقيل بأن مالكاً إذا سئل عن مسألة كتبها أصحابه فيصير لكل واحد منهم سماع مثل سماع ابن القاسم ، فرأى أسد أمراً يطول عليه وخاف أن يفوته ما رغب فيه من لُقّي الرجال والرواية عنهم فرحل إلى العراق[٣] .

فودع أسد شيخه مالكاً وطلب وصية فأوصاه مالك بتقوى ا لله العظيم والقرآن ومناصحة هذه الأمة خيراً[٤] .

فلما وصل إلى العراق لقي أصحاب أبي حنيفة وخاصة أبا يوسف القاضي ومحمد ابن الحسن الشيباني الذي التحق أسد بحلقته نهاراً وكان يخصه بمزيد علم في الليل ، وكان أسد يكتب الأسئلة بالليل من أسئلة العراقيين على قياس قول مالك ، ثم يراجع فيها محمد بن الحسن الذي جاد بعلمه ووقته لأسد بن الفرات ، ومحمد بن الحسن من تلامذة مالك وله رواية للموطأ مشهورة ، ولذلك كانت له مزية على القاضي أبي

---

(١) الظر : ترتيب المدارك ، ٢٩٢/٣ .

(٢) انظر : ترتيب المدارك ، ٢٩٢/٣ ؛ معالم الايمان ، ٥/٢-٦ .

(٣) معالم الايمان ، ٥/٢ .

(٤) ترتيب المدارك ، ٢٩٢/٣ .

يوسف في إفادة أسد بن الفرات في ميدان المقارنات الفقهية لما له من معرفة بفقه المدرستين الحجازية والعراقية[1] .

وفي عام (١٧٩هـ) وصل للعراق نبأ وفاة الإمام مالك رحمه الله وماج الناس حزناً عليه ولما رأى أسد ذلك تأثر لموت مالك وأحس بمقدار ما ضاع منه من علم نتيجة مفارقته لمالك فقال قولته الشهيرة (إن كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم أصحابه)[2]

فرحل إلى مصر حاملاً معه سماعاته عن مالك وعن تلاميذ أبي حنيفه فاتصل بابن وهب ت (١٧٩هـ) وأشهب ت (٢٠٤هـ) فلم يجد لديهما طلبته ، فابن وهب كان يقتصر في أجابته على ما قاله مالك دون توسع ، فلم يشبع نهمته وكان يقول (حسبك إذ أدينا لك الرواية) وأما أشهب فكان يجيب بآرائه الخاصة[3] . ثم توجه إلى عبد الرحمن ابن القاسم ت(١٩١هـ) حيث وجد بغيته المتمثلة في تحقيق مسائل سماعاته الحنفية على مذهب الإمام مالك ومعرفة جوابه فيها ، حيث لا زم ابن القاسم وأخذ يسأله وابن القاسم يجيبه كما أراد على ما سمعه من مالك وهي تنحصر في أربع اجابات :

١ـ ما علم الإجابة فيها عن مالك فيقول : أعلم .

٢ـ ما لم يعلم الإجابة فيها من مالك فيقول : أظن أو أخال أو أحسب .

٣ـ ما لا يحفظ فيه رواية عن مالك ، لكنه يحفظ له نظيراً فيحكم بحكم من عنده مساوٍ لحكم قاله مالك فيقيس .

٤ـ مالا يحفظ له شيئاً عن مالك لا ظناً ولا يقيناً ولا يجد له نظيراً فيذكر فيه اجتهاده بناء على الأصول المالكية المتبعة .

حتى أكمل الأسدية[4] والتي تعد أول معلمة فقهية مالكية قيروانية برزت في المذهب المالكي ، حيث أخذ أسد في طرح أسئلته وابن القاسم يجيب عليها ، حتى توقف أسد عن القاء هذه الأسئلة فقال له ابن القاسم : زد يا مغربي وقل من أين قلت حتى أبين لك ؟ فقام أسد في المسجد على قدميه ، وقال : يا معشر الناس إن كان مالك مات

---

(١) انظر : ترتيب المدارك ، ٣/٢٩٣ ـ ٢٩٦ .

(٢) المصدر السابق ، ٣/٢٩٦ .

(٣) انظر : ترتيب المدارك ، ٣/٢٩٧ .

(٤) انظر : ترتيب المدارك ، ٣/٢٩٦-٢٩٧ ؛ معالم الايمان ، ٢/١١-١٣ ؛ المختار الطاهر ، ابن رشد وكتابه المقدمات ، الطبعة (١) (بيروت : الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٨م) ، ٣٥٩ .

فهذا مالك[1] ، ثم رحل بها إلى القيروان وانتصب لها للتعليم والتدريس وحصلت له بها رئاسة ، وكان من تلاميذه عبد السلام التنوخي المشهور بسحنون وكان يكتب الأسدية عن أسد فلما علم أسد بذلك شح بها ولم يعطها لأحد وقد بقي منها بالنسبة لنسخة سحنون كتاب القسم ، حتى احتال عليه سحنون عن طريق رجل من أهل الجزيرة ، جاء لأسد و سأله أن يسمح له بنقل باب القسم ، فأبى عليه ذلك حتى استحلفه أن لا يعطيه لسحنون لأنه يعلم أن سحنوناً لا ينقصه من الأسدية إلا هذا الباب ، فحلف الرجل على ذلك ولكنه حنث في يمينه وحمل الكتاب إلى سحنون وقال له : خذه يا أبا سعيد وأنا أكفر عن يميني ، فاكتملت الأسدية عند سحنون[2] .

وعلى الرغم من الجهود التي عملها أسد في تحقيق الأسدية إلا أنها كانت بحاجة إلى ترتيب و تنظيم وزيادة تحقيق وتوثيق ولذلك أطلقوا عليها وصف المختلطة ، بالإضافة إلى افتقارها إلى الآثار ، حيث إن ميل أسد إلى استعمال الرأي والسعي وراء التفريعات هو الذي جعل معلمته مفتقرة إلى هذه النصوص ، يقول ابن سحنون (وحصلت لأسد بتلك الكتب في القيروان رئاسة) قال غيره : وأنكر عليه الناس إذا جاء بهذه الكتب وقالوا جئتنا بأخال وأظن وأحسب وتركت الآثار وما عليه السلف ، فقال : أما علمتم أن قول السلف هو رأي لهم وأثر لمن بعدهم ، ولقد كنت أسأل ابن القاسم في المسألة فيجيبني فيها فأقول له : هو قول مالك ، فيقول كذا وأخال وأرى ، وكان ورعاً يكره أن يهجم على الجواب ، قال : والناس يتكلمون في هذه المسائل)[3] .

ولذلك عزم سحنون على تصحيح تلك السلبيات ودعمها بما ينقصها ، فرحل بها إلى مصر بعد أن تفقه في فقه مالك ، فلقي ابن القاسم وقرأ عليه وأخذ كثيراً من فقهه وعلمه ، وكان من جملة ما قام به أن عرض الأسدية على ابن القاسم عرض الفقيه على الفقيه حيث أجاب ابن القاسم عما كان يشك فيه واستدرك فيها أشياء كثيره لأنه كان أملاها على أسد من حفظه ، حيث (أسقط الأقوال التي لم يكن مجزوماً بصحتها أو التي لم يوجد لها سند من قول مالك ، وأسقط ابن القاسم وأظن مالكاً قال في هذه المسالة كذا وكذا ، وأخال مالكاً قال كذا وكذا ، وقال لابن القاسم : ما وقفت عليه من قول مالك كتبته وما لم تقف عليه تركته ، وتكلمت فيه بما ظهر لك من ذلك)[4] .

بل إن سحنوناً لم يقف عند تحقيق مسائل الأسدية بل تعداه إلى تدوين هذه المسائل وترتيبها حيث (هذبها وبوبها ودونها والحق بها من خلاف كبار أصحاب مالك

---

(1) انظر : ترتيب المدارك ، ٢٩٧/٣ .

(2) انظر : ترتيب المدارك ، ٢٩٨/٣ ؛ معالم الايمان ، ١٤/٢ .

(3) ترتيب المدارك ، ٢٩٨/١ .

(4) رياض النفوس ٢٦٣/١ ؛ ترتيب المدارك ، ٢٩٨/٣ .

ما اختار ذكره ، وذيل أبوابها بالحديث والآثار الا كتباً منها مفرقة بقيت على أصل اختلاطها في السماع)[١] .

ولما أنهى سحنون عمله العلمي رجع إلى القيروان عام (١٩١هـ) وهو يحمل المدونة محققه مرتبة في ثوبها الجديد وسلم سحنون أسداً رسالة من ابن القاسم يأمره أن يعارض أسديته على مدونة سحنون ونصها (أن عارض كتبك على كتب سحنون فإني رجعت عن أشياء مما رويتها عني)[٢] ، ولكن أسداً لم يفعل ذلك وقال (أأرجع عما اتفقنا عليه إلى ما رجعت أنت الآن عليه)[٣] فبلغ ذلك ابن القاسم فدعى قائلاً (اللهم لا تبارك في الأسدية)[٤] فرفضها الناس .

وأصبحت مدونة سحنون (هي أصل المذهب المرجح روايتها عند المغاربة وإياها اختصر مختصروهم ، وشرح شارحوهم ، وبها مناظرتهم ومذاكرتهم ، ونسيت الأسدية فلا ذكر لها الآن)[٥] .

وأصبحت المدونة معلمة الفقه المالكي بجانب موطأ الامام مالك وتآزرت معه في تركيز المذهب ونشره ، وبها أصبح المذهب مدنياً بالتكوين والتأصيل ، مغربياً بالتدوين والتفريع فاعتمدها الناس ، ورجحت في روايتها على غيرها عند المغاربة ، وانتقلت من إفريقية بين أقطار المغرب العربي ، وذاعت في صقلية و علا مقامها في الأندلس ، وانتشرت في المشرق ، وحازت رضا العلماء ، وأثنوا عليها ، واعتبروها المرجع الأول منها المصدر واليها المورد ، ونصوصها تقطع الخلاف ، وعباراتها تزيل الغموض ، مثال ذلك ما روي عن أحمد[٦] بن نصر أنه سئل عن امرأة سقت زوجها فأجذمته ، فاضطرب علماء القيروان فيها ، فقال لهم أحمد بن نصر : المسألة في المدونة : في السن إذا ضربها رجل فاسودت واخضرت فقد تم عقلها ووجبت الدية فيها ؛ لأن المراد منها بياضها وجمالها ، فإذا اسودت واخضرت فقد ذهب جمالها ، فكذلك الإنسان فإذا تجذم فقد زال حسنه وجماله ووجبت فيه الديه[٧] .

---

(١) ترتيب المدارك ، ٢٩٩/٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) ترتيب المدارك ، ٢٩٩/٣ .

(٦) هو أحمد بن نصر بن زياد الهواري ، من أهل إفريقية ، كان عالماً متقدماً بأصول العلم حاذقاً بالمناظرة فيه ، ملياً بالشواهد ، جيد القريحة ، علمه في صدره من الفقهاء والمبرزين ، ت (٢٣٥هـ) .
انظر : ترتيب المدارك ، ٩٣/٥ ، الديباج ، ١٥٨/١ .

(٧) انظر : المدونة ، ٣٢١/٦ ؛ ترتيب المدارك ، ٩٥/٥ ؛ الديباج ، ١٥٨/١ ؛ ابن رشد وكتابه المقدمات، ٣٦٤ .

ويعبر عن مكانة المدونة في المذهب قول سحنون (إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن تجزئ في الصلاة عن غيرها ولا يجزئ غيرها عنها ، أفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبينوها ، فما اعتكف أحد على المدونة ودراستها إلا عرف ذلك في ورعه وزهده ، وما عداها أحد إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه ، ولو عاش عبد الرحمن أبداً ما رأيتموني أبداً ـ وقال ـ عليكم بالمدونة فإنها كلام رجل صالح وروايته)[1] .

وبلغ من عناية الناس بها أن حفظها كثير منهم عن ظهر قلب[2] حتى أنها فقدت مرة من القيروان ، فأملاها أبو القاسم[3] السيوري من حفظه .

المبحث الثاني : الشروح والمختصرات و التعليقات على المدونة

تناول كثير من فقهاء المالكية المدونة بالبحث والدراسة فمنهم من شرحها ومنهم من اختصرها ومنهم من قيد عليها ومنهم شرح غريبها وغير ذلك وسأعرض لأهم تلك المؤلفات .

أولاً : الشروح :

١ـ التنبيه على مبادئ التوجيه لمحمد بن إبراهيم بن عبدوس المالكي (٢٦٠هـ) في أربعة أجزاء[4] .

٢ـ المنتخب لمحمد[5] بن لبابه ، ت(٣٣٦هـ) وهو على مقاصد الشرح لمسائل المدونة .

---

(١) ترتيب المدارك ، ٣/٣٠٠ .

(٢) منهم محمد بن سيمون الانصاري الطليطلي كان يستظهرها ، كتبها في اللوح فحفظها كما يحفظ القرآن وكذلك أحمد المرجولي واسحاق الغماري وابو بكر بن عبد الودود الجاناتي والفقيه أبو الحسن علي ابن عشرين أملاها من حفظه فلما وجدوا النسخة وقابلوها على التي أملاها من حفظه لم يجدوا بينهما فرقاً إلا في فاء أو وكذلك عبد الله بن عيسى التادلي كتبت المدونة من حفظه لما أحرقها الموحدون وغيرهم .
انظر : عمر الجيدي ، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي ، (الدار البيضاء : منشورات عكاظ ، ١٤٠٨هـ) ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٣) هو عبد الخالق بن عبد الوارث التميمي المعروف بالسيوري ، خاتمة ائمة القيروان ، كان آية عجيبة في الحفظ والدرس ، حيث كان يحفظ دوادين الفقه المالكي ، له مؤلفات منها(تعليق على نكت المدونة) توفي عام (٤٦٠هـ) . انظر : ترتيب المدارك ، ٦٥/٨ ؛ الديباج ، ٢٢/٢ .

(٤) انظر : ترتيب المدارك ، ٢٢٥/٤ ؛ فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، (الرياض : جامعة الامام ، ١٤٠٣هـ) ، م١/ج٣/١٥٠ ، الديباج ٢٦٥/١ .

(٥) هو محمد بن يحي بن لبابه أبو عبد الله يلقب بالبرجون ، كان من احفظ اهل زمانه للمذهب عالماً بعقد الشروط ، بصيراً بعللها ، وله اختيارات في الفتوى خارجه عن المذهب ، ت (٣٣٦هـ) .
انظر : جذوة المقتبس ، ١٥٩/٥ ؛ الديباج ، ٢٠٠/٢ .

٣- شرح المدونة لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب البصري ، ت (٣٧٨هـ)[١]

٤- شرح المدونة للقاضي عبد الوهاب البغدادي ، ت (٤٢٢هـ) .

٥- كتاب الشرح والتتمات لمسائل المدونة للبراذعي ، حيث أدخل فيه كلام شيوخها المتأخرين على المسائل .

٦- شرح للمدونة وتعليق عليها لأبي اسحاق إبراهيم بن حسن التونسي ت(٤٤٣هـ) وقد أتمه محمد[٢] بن سعدون القروي ت (٤٨٥هـ) .

٧- شرح أبي القاسم[٣] عبد الرحمن اللبيدي ، ت(٤٤٠هـ) وهو أزيد من مائتي جزء في مسائل المدونة وبسطها والتفريع عليها وزيادة الأمهات ونوادر الزيادات .

٨- شرح المدونة لأبي حفص الصقلي[٤] ، يقع في ثلاثمائة جزء .

٩- التقريب لأبي القاسم بن بهلول[٥] ت (٤٤٤هـ) استعمله الطلاب للمذهب في المناظرة وانتفعوا به ومع ذلك فقد أخذت عليه فيه أوهام في النقل .

١٠- شرح المدونة لأبي بكر الصقلي ت (٤٥١هـ) وهو موضوع التحقيق .

١١- شرح تهذيب الطالب وفائدة الراغب على المدونة لأبي محمد عبد الحق الصقلي ت (٤٦٦هـ) وقد استفاد منه ابن يونس في جامعه .

١٢- شرح المدونة للقاضي أبي الوليد الباجي[٦] ت (٤٧٤هـ) وهذا الشرح لم يكمل .

---

(١) انظر : تاريخ التراث ، م١/ج٣/١٥٠ ، كارل برو كلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ط (٣) ، (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٤م) ، ٢٨٢/٣ .

(٢) هو محمد بن سعدون بن علي البدوي القروي ، كان من أهل العلم بالأصول والفروع ، توفي عام ٤٨٥هـ انظر : ترتيب المدارك ، ١١٢/٨ ، الديباج في ، ٢٩٩/٢ .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد المصري المعروف باللبيدي ، من مشاهير علماء إفريقية ومؤلفيها وعبادها من تلاميذ ابن أبي زيد والقابسي . ت (٤٤٠هـ) . انظر : ترتيب المدارك ، ٢٥٤/٧ ، الديباج ، ٤٨٤/١ .

(٤) هو عمر بن عبد النور المعروف بالحكار الصقلي ، عالم فاضل ، نظار محقق حسن الكلام والتأليف ، انتقد علي التونسي ألف مسألة واختصر كتاب التمامات.انظر:ترتيب المدارك،١١٥/٨،الفكر السامي ، ٢١٤/٢

(٥) هو خلف مولى يوسف بن بهلول ويعرف بالبربلي ، كان مفتي بلنسيه في وقته وعظيمها ، من أهل العلم والقدر ، كان فقيهاً حافظاً للمسائل . انظر : الصلة ، ١٦٦/١ ؛ ترتيب المدارك ، ١٦٤/٨ .

(٦) هو سليمان بن خلف بن سعد الباجي ، من علماء الأندلس وقد حاز الرئاسة بها وولي القضاء وله مؤلفات عديدة منها (المنتقى شرح الموطأ) و (مسائل الخلاف) و(احكام الفصول في علم الاصول) ، ت ٤٧٤هـ انظر : ترتيب المدارك ، ١١٧/٨ ؛ الديباج ، ٣٧٧/١ .

١٣- الطراز لأبي[1] علي الأزدي ت (٥٤١هـ) يقع في نحو ثلاثين سفراً توفي قبل إكماله وقد اعتمده الحطاب وأكثر النقل عنه في مواهب الجليل[2] .

١٤- الجامع البسيط وبغية الطالب النشيط لعاشر[3] الأنصاري ت(٥٦٧هـ) حيث شرح المدونة مسألة مسألة ، حشد فيه أقوال الفقهاء ورجح بعضها واحتج له .

١٥- مناهج التحصيل في شرح المدونة لأبي الحسن علي[4] بن سعيد الرجراجي من علماء القرن السادس الهجري ، لخص في كتابه ما وقع للأئمة من التأويلات[5] .

١٦- شرح المدونة لخليل بن إسحاق ت ٧٧٦هـ ولكنه لم يكمله حيث وصل في شرحه إلى كتاب الحج .

١٧- شرح المدونة لأبي عبد الله التونسي ، ت(٨٢٨هـ) .

---

(١) هو سند بن عنان بن ابراهيم ، كنيته أبو علي ، كان فقهياً فاضلاً تلقى العلم عنه كثير من الناس ، له تآليف في الجدل وغيرها توفي بالاسكندرية عام (٥٤١هـ) .
انظر : الديباج ، ٣٩٩/١ ؛ شجرة النور ، ١٢٥/١ .

(٢) انظر : تاريخ التراث العربي ، م١/ج٣/١٥٠ .

(٣) هو عاشر بن محمد بن عاشر بن خلف الانصاري ، سكن شاطبه وكان رئيس الفتوى واليه ترد صعاب المسائل ومشكلاتها ، مشهور بالحفظ والفهم ت ٥٦٧هـ .
انظر : الديباج ، ١٢٨/٢ ، شجرة النور ، ١٤٩/١ ؛ بغية الملتمس ، ٤٢٥ .

(٤) على بن سعيد الراجراجي ، أبو الحسن ، الموصوف بالفقيه الحافظ الفروعي كان ماهراً في العربية والأصلين، لقى جماعة من العلماء بالمشرق .
انظر : التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، مطبوع هامش الديباج ، ط (الأولى) (مصر : مطبعة السعادة ، ١٣٢٩هـ) ، ص ٢٠٠ .

(٥) وقد نسب بروكلمان هذا الكتاب لابن رشد وخطاه سزكين .

١٨- الشرح الشتوي على المدونة للقاسم[١] بن ناجي ، ويقع في أربعة أجزاء[٢] .

١٩- الشرح الصيفي على المدونة للمؤلف السابق[٣] .

٢٠- شرح المدونة لمحمد[٤] الوشتاتي ت (٧٢٨هـ) .

٢١- شرح المدونة لمحمد[٥] القلشاني ت (٨٦١هـ) .

٢٢- شرح المدونة لأبي[٦] الربيع سليمان البجائي ت (٨٨٧هـ) .

٢٣- شرح المدونة ليحى[٧] العلمي ، ت (٨٨٨هـ) سلك في شرحه طريق الاختصار .

٢٤- شرح المدونة لأبي العباس أحمد[٨] الفاسي ت (٩٣١هـ) .

---

(١) هو قاسم بن عيسى بن ناجي القيرواني ، أبو الفضل ، الفقيه الحافظ للمذهب ولي القضاء وله شرح على الرسالة وشرحان على المدونة وغيرها وتأليفه معول عليه في المذهب .
انظر : توشيح الديباج ، ٢٦٦ ؛ شجرة النور ، ٢٤٤/١ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، ٢٨٣/٣ ؛ شجرة النور ، ٢٤٤/١ .

(٣) المصادر السابقة .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالآبي الوشتاتي ، العلامة البارع المحقق الأصولي الفقيه المطلع أخذ عن أئمة منهم ابن عرفه ولازمه الراوية النظار . له مؤلفات منها (إكمال الاكمال) شرح على صحيح مسلم ؛ توفي عام (٨٢٨هـ) . انظر : شجرة النور ، ٢٤٤/١ ؛ توشيح الديباج ، ٢٠٤-٢٠٥ .

(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد القلشاني ، كان فقيهاً حافظاً لمذهب الإمام مالك تولى قضاء تونس له مؤلفات منها شرح على الرسالة وشرح على مختصر بن الحاجب . انظر : شجرة النور ، ٢٥٨/١ .

(٦) هو سليمان بن ابراهيم الحسناوي البجائي ، تقدم في الفقه والفرائض والحساب والمنطق وصنف فيها ، وأكره على قضاء الجماعة ثم أعرض عنه ، توفي عام (٨٨٧هـ) . انظر : محمد السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، (القاهرة : مكتبة المقدس ، ١٣٥٥هـ) ، ٢٧٠/٣، توشيح الديباج ، ١٠٥ .

(٧) هو يحى بن أحمد بن عبد السلام ، المعروف بـالعُلَمي ـ بضم العين وفتح اللام ـ نسبة إلى العلم تصدى للتدريس بالجامع الازهر وغيره كان مبرزاً في كثير من العلوم ت ٨٨٨هـ .
انظر : الضوء اللامع ، ١٠-٢١٦ ، توشيح الديباج ، ٢٦٢ .

(٨) هو أحمد بن علي الزقاق أبوالعباس ، الفقيه المتكلم ، تفنن في علوم شتى له تآليف منها (لامية في الاحكام) ومنظومة في القواعد ، توفي عام (٩٣١هـ) . انظر : شجرة النور ، ٢٧٤/٢ .

ثانياً : المختصرات والتعليقات والتقييدات والتنبيهات على المدونة:

١ـ مختصر المدونة لإبراهيم[1] الكلاعي ت ٢٧٥هـ .

٢ـ مختصر المدونة لحمديس[2] اللخمي ت ٢٩٩هـ .

٣ـ مختصر المدونة لفضل بن سلمة ت (٣١٩هـ) .

٤ـ مختصر المدونة لإبراهيم[3] بن يحي ت (٣٣٧هـ) .

٥ـ مختصر المدونة الا الكتب المختلطة منها لمحمد[4] بن عيشون ت (٣٤١هـ) .

٦ـ مختصر المدونة لمحمد[5] بن رباح ت (٣٥٨هـ) .

٧ـ مختصر المدونة لمحمد[6] الخولاني ت (٣٦٤هـ) .

٨ـ مختصر المدونة لمحمد[7] ابن إسحاق ت (٣٦٧هـ) .

٩ـ مختصر المدونة لإسماعيل[8] بن إسحاق ت (٣٨٤هـ) .

---

(١) هو ابراهيم بن عجنس الكلاعي الأندلسي ، كان أحد حفاظ الفقه ، وله رحلة سمع فيها من يوسف بن عبد الأعلى . انظر : الديباج ، ٢٧٧/١ .

(٢) هو حمديس بن ابراهيم بن أبي محرز اللخمي ، من أهل قفصه ، فقيه ثقه سمع من ابن عبدوس . انظر : الديباج ، ٣٤٢/١ .

(٣) هو ابراهيم بن يحى بن برون ، من أهل طليطلة ، وولي القضاء فيها ومن فقهائها . انظر : ترتيب المدارك ، ٤٦٠/٤ .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن عيشون ، من أهل طليطله ، فقيه حافظ للمسائل ولي قضاء بلده لقي جماعة من المحدثين ، وكان فقيه عصره ، حافظاً لمذهب مالك . انظر : الديباج ، ٢٠٤/٢ ، شجرة النور ، ٨٩/١ .

(٥) هو محمد بن رباح بن صاعد الأموي الطليطلي ، كان موصوفاً بصلاح وفضل وعناية بالعلم والرواية له والحفظ لمذهب مالك . انظر : ترتيب المدارك ، ١٧٧/٦ ،

(٦) هو محمد بن عبد الملك الخولاني ، أبو عبد الله ويعرف بالنحوي ، أصله من بلنسيه ، كان فقيهاً حافظاً متصرفاً في المسائل ويناظر عليه . انظر : ترتيب المدارك ، ٢٠/٧ .

(٧) هو محمد بن اسحاق بن منذر بن ابراهيم السليم ، أبو بكر ، قرطبي ، كان حافظاً للفقه بصيراً بالاختلاف عالماً بالحديث ، ضابطاً لما رواه ، ولي القضاء . انظر : ترتيب المدارك ، ٢٨٠/٦ ؛ الديباج ، ٢١٤/٢ ، تاريخ قضاة الاندلس ، ٧٥ .

(٨) هو اسماعيل بن اسحاق بن ابراهيم القيسي ، قرطبي ، كان من أهل الفقه و الحديث وغلب عليه الحديث ، له تصانيف كثيرة . انظر : ترتيب المدارك ٢٩٨/٦ ، الديباج ، ٢٩٠/١ .

١٠- مختصر المدونة لمحمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني ت (٣٨٦هـ) .

١١- مختصر المدونة لعبيد الله[1] الطوطالقى ت (٣٨٦هـ) .

١٢- مختصر المدونة واسمه المغرب في اختصار المدونة وشرح مشكلها لمحمد بن أبي زمنين ت (٣٩٩هـ) .

١٣- تهذيب المدونة لخلف البراذعي (لم أقف على وفاته) ولكنه معاصر لابن أبي زيد ومن طلابه .

١٤- التمهيد لمسائل المدونة لخلف البراذعي .

١٥- تعليق على المدونة لأبي حفص[2] التميمي ت بعد (٤٢٨هـ) .

١٦ - تعليق على المدونة لأبي عمران الفاسي ت (٤٣٠هـ) .

١٧- تعليق على المدونة لأبي الطيب[3] الكندي ت (٤٣٥هـ) .

١٨- مختصر المدونة المسمى بـ (الملخص)[4] لأبي القاسم اللبيدي ت (٤٤٠هـ) .

١٩- مختصر المدونة لخلف[5] مولى يوسف بن بهلول (٤٤٣هـ) .

جمع في مختصره أقوال أصحاب مالك ، وهو كثير الفائدة .

٢٠ - تعليق على المدونة لإبراهيم[6] التونسي ت (٤٤٣هـ) .

---

(١) هو عبد الله بن فرح الطوطالقي النحوي ، من أهل قرطبه ويكنى أبا مروان .
انظر : خلف بن عبد الملك ، الصلة في تاريخ ائمة علماء الاندلس ، بعناية : عزت الحسيني (بغداد : مكتبة المثنى، ١٣٧٤هـ) ، ٢٨٩/١ .

(٢) هو عمر بن محمد التميمي ، اشتهر بالعطار ، كان على سمت المجتهدين المبرزين ومن أئمة القيروان المعدودين. انظر : شجرة النور ، ١٠٧/١ ، معالم الايمان ، ١٦٤/٣ .

(٣) هو عبد المنعم بن إبراهيم الكندي ، القيرواني ، المعروف بابن بنت خلدون كان له علم بالأصول وحذق بالفقه والنظر ، وكان قدوة في العلم والدين . انظر : ترتيب المدارك ، ٦٧/٨ ، معالم الإيمان ، ١٨٤/٣ .

(٤) انظر : معالم الايمان ، ١٧٥/٣ .

(٥) انظر : الصلة ، ١٦٦/١ .

(٦) هو إبراهيم بن حسن بن اسحاق التونسي ، الفقيه الحافظ الاصولي المحدث له شروح حسنه وتعاليق متنافس فيها . انظر : معالم الايمان ، ١٧٧/٣ ، شجرة النور ، ١٠٨/١ .

٢١- تعليق على المدونة لعثمان[١] بن مالك ت (٤٤٤هـ) .
٢٢- تقييد على المدونة عنوانه (التبصرة) لعبد الرحمن[٢] القيرواني ت (٤٥٠هـ) .
٢٣- مختصر المدونة لعبيد الله[٣] القرطبي ت (٤٦٠هـ) .
٢٤- النكت والفروق لمسائل المدونة لعبد الحق الصقلي ت (٤٦٠ هـ) .
٢٥- وضع للمدونة لأبي[٤] القاسم التميمي ت (٤٦٥هـ) .
٢٦- مختصر للمدونة عنوانه (المهذب)[٥] لسليمان الباجي ت ٤٧٤هـ .
٢٧- مختصر مختصر المدونة لسليمان الباجي[٦] ٤٧٤هـ .
٢٨- تعليق كبير على المدونة لأبي[٧] الحسن الربعي ، ت (٤٧٨هـ) .
٢٩- تعليق على المدونة أكمل به التعاليق التي بقيت على التونسي لعبد الحميد[٨] بن محمد ت (٤٨٦هـ) .

---

(١) هو عثمان بن مالك ، زعيم فقهاء المغرب في وقته . وعنه أخذ فقهاء فاس وتفقهوا به .
انظر : ترتيب المدارك ، ٧٨/٨ .

(٢) هو عبد الرحمن بن محرز القيرواني ، أبو القاسم ، كان فقيهاً نظاراً نبيلاً ذا رواء حسن ومروءة تامة .
انظر : ترتيب المدارك ، ٦٨/٨ ؛ معالم الايمان ، ١٨٥/٣ .

(٣) هو عبيد الله بن محمد بن عبيد الله ، أبو مروان ، من الراسخين في مذهب الامام مالك وقد استظهر كتبه ، كان له بصر بالحساب والفرائض والتفسير .
انظر : ترتيب المدارك ، ١٣٦/٨ ، الصلة ، ٢٩٢/١ .

(٤) هو أحمد بن محمد بن عمر التميمي ، كان أبوه من اهل القيروان ، درس الاصول والفقه والآداب ، ورحل إلى قرطبه فلقي ابن رشد وولى قضاء غرناطه .
انظر : ابن الأبار ، المعجم في أصحاب القاضي علي الصدفي ، (مجريط : مطبعة روخس : ١٨٨٥م) ، ٢٣، شجرة النور ، ١٣٤/١ .

(٥) انظر : ترتيب المدارك ، ١٢٤/٨ .

(٦) انظر : المصدر السابق .

(٧) هو علي بن محمد الربعي ، المعروف باللخمي ، قيرواني نزل صفاقس ، كان فقيهاً فاضلاً ، ديناً متفنناً ، ذا حظ من الأدب والحديث ، كان فقيه وقته ، حاز رئاسة بلاد افريقيه ، اهتم بتخريج الخلاف في المذهب ، وخالف المذهب في بعض ما ترجح عنده .
انظر : ترتيب المدارك ١٠٩/٨ ؛ الديباج ، ١٠٤/٢ ، الفكر السامي ، ٢١٥/٢ .

(٨) هو عبد الحميد بن محمد الهروي ، أبو محمد ، قيرواني ، سكن سوسه ، كان فقيهاً فاضلاً نبيلاً ، عليه تفقه المازري والمهدوي .
انظر : الديباج ، ٢٥/٢ ؛ معالم الايمان ٢٠٠/٣ ، شجرة النور ، ١١٧/١ .

٣٠- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات لأبي الوليد بن رشد ت (٥٢٠هـ).

٣١- التعليقه على المدونة لمحمد[1] بن علي المازري ت (٥٣٦هـ) .

٣٢- التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة للقاضي عياض[2] ت (٥٤٤هـ) .

٣٣- مختصر المدونة وعنوانه (نظم الدر) اختصرها على وجه غريب وأسلوب عجيب من النظم و الترتيب لعبد الله[3] الشارمساحي ، ت (٦٦٠هـ).

٣٤- طرر على المدونة لأبي أبراهيم[4] الورياغلي ت (٦٨٣هـ) .

٣٥- تقييد على تهذيب البراذعي[5] لعلي الزرويلي ت (٧١٩هـ) .

٣٦- تقييد على المدونة ، لعلي[6] الطنجي ت (٧٣٤هـ) .

٣٧- تقييد على المدونة لإبراهيم[7] التسولي ت (٧٤٨هـ) .

٣٨- تعليق على المدونة لأبي[8] عبد الله السطي ت (٧٥٠هـ) .

٣٩- تقييد على المدونة لعبد[9] العزيز القوري ت (٧٥٠هـ) .

---

(١) هو محمد بن علي التميمي المازري ، كان واسع الباع والعلم والاطلاع ، بلغ رتبة الاجتهاد ، من تآليفه (شرح التلقين) و(شرح صحيح مسلم) . انظر : الديباج ، ٢/٢٥٠ ، شجرة النور ، ١/١٢٧ .

(٢) هو عياض بن موسى اليحصبي ، القاضي ، أبو الفضل ، سبتي الدار ، أندلسي الاصل ، كان اماماً في الحديث وعلومه والتفسير والفقه والاصول واللغة ، حافظاً لمذهب الإمام مالك ، له مؤلفات عظيمة تدل على منزلته العلمية منها (إكمال المعلم) و(الشفا) . انظر : بغية الملتمس ، ٤٢٥ ؛ شجرة النور ، ١/١٤٠

(٣) هو عبد الله بن عبد الرحمن الشارمساحي ، كان إماماً عالماً على مذهب مالك له مصنفات عديدة منها (الفوائد في الفقه) و (التعليق) في علم الخلاف .
انظر : الديباج ، ١/٤٤٨ ؛ شجرة النور ، ١/١٧٣ ، الفكر السامي ،٢/٢٣٢ .

(٤) هو اسحاق بن يحى بن مطر الأعرج ، الامام الفقيه الفاضل العالم العامل ، أخذ عن أبي محمد بن صالح وغيره واخذ عنه أبو الحسن الصغير توفي في فاس . انظر : شجرة النور ، ١/٢٠٢ .

(٥) انظر : الفكر السامي ، ٢/٢٣٧ ، شجرة النور ، ١/٢١٥ .

(٦) هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن اليفرني الطنجي ، الفقيه الحافظ العالم الفرضي أخذ عن أبي الحسن الصغيره وغيره . انظر : شجرة النور ،١/٢١٨ .

(٧) هو ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر التسولي ، كان من الفقهاء المبرزين الذين بذلوا انفسهم للتدريس والتعليم ، من صدور المغرب ، كان وجيهاً عند الملوك . انظر : الديباج ، ١/٢٧٢ .

(٨) هو محمد بن سليمان السطي الامام الفقيه حافظ المغرب وشيخ الفتوى وإمام مذهب مالك له تعليق على جواهر بن شاس . انظر : شجرة النور ، ١/٢٢١ .

(٩) هو أبو فارس عبد العزيز بن محمد القوري ، الفقيه العلامة ، أخذ عن أبي الحسن الصغير وهو أكبر تلامذته. انظر : شجرة النور ، ١/٢٢١ .

القسم الثاني
نُسخ الكتاب والمنهج المعتمد في التحقيق

القسم الثاني : نسخ الكتاب والمنهج المعتمد في التحقيق

تمهيد :

التحقيق ليس عملاً سهل الارتياد ، لين المأخذ بل هو عمل صعب ووعر ، يحتاج ممن يلج بابه أن يتحلى بالصبر والجَلَد ، والرَّوِيّة ودقة النظر ، وسعة الصدر وطول البال.

"فكم من عبارة مغلقة مُحرَّفة يصادفها ولا يجد لها أثراً في المراجع التي أمامه فيمضي في سبيل تقويمها أياماً ، وكم من قول لأحد العلماء يحاول إخراجه في كتبه فلا يجد له من تلك الكتب رائحة ، وقد قطع أياماً يحاول ويحاول"(1) .

ولعل من أهم الأمور التي يجب أن يضعها المحقق نُصب عينيه حال اشتغاله بالتحقيق أن يعلم أنه مؤتمن على هذا المخطوط ، فيجب عليه أن يتقي الله فيه ببذل الوسع ، وإفراغ الجهد للوصول به كما أراد له مصنفه ، مستعيناً في ذلك بالمناهج التي تواضع عليها أهل التحقيق .

ولقد عنّت لي من خلال معايشتي لهذا الكتاب صعوبات التحقيق في كل مرحلة من مراحله بدأ بالبحث عن مظان نسخ الكتاب ومصادره ، وطريقة الحصول عليها ، ومروراً بداء التصحيف والتحريف والسَّقْط التي تسرَّبت إلى مواضع كثيرة من الكتاب ، وانتهاء بمشاكل فهم النص وتوثيقه التي تعد من أصعب وأعقد أعماله ، حيث أن معظم الكتب التي وثق منها المصنف ما تزال مخطوطة ، ومادتها في أجزاء متفرقة ، لذلك فقد استغرقت مني عملية التوثيق وقتاً وجهداً كبيراً قد لا يشعر به الناظر فيه والقاريء له .

وفيما يلي أقدم وصفاً بالنسخ التي توافرت خلال عملي في تحقيق هذا الكتاب .

المبحث الأول : نُسخ الكتاب

بعد جهود مضنية تمثلت في التنقيب في فهارس المخطوطات والاستفسار من أهل الاختصاص أعقبها رحلة علمية دامت شهراً تنقلت فيها بين أشهر المكتبات ، وخزائن المخطوطات في كل من الرباط وفاس وتونس والقيروان والقاهرة تمكنت من خلالها من الحصول على النسخ التالية :-

أولاً : نسخ الخزانة الحسنية بالرباط :

١- نسخة مصورة تحمل الرقم (٣٧٠٠) ، رمزت لها بالحرف (أ) ، وهي نسخة غير كاملة حيث سقط منها العديد من الكتب مثل : كتاب الجعل والإجارة ، وكتاب الرد بالعيوب ، وتقع في ٣٠٠٠ صفحة في سبعة أجزاء ووصفها كالتالي :

* نوع الخط : مغربي و سط .

---

(1) أحمد الخراط ، محاضرات في تحقيق النصوص ، ط : الأولى (المنارة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ) ص ١٩ .

* تاريخ النسخ (١١٩٩هـ) .
* لم يذكر اسم الناسخ ، وليس عليها أي تملك ، ولا ما يدل على المقابلة .
عدد صفحات الجزء الذي أقوم بتحقيقه (٢١٩) صفحة ، وكتاب الجعل والإجارة وكتاب جامع العيوب الساقطان منها يشكلان (١١٨) صفحة كما في نسخة (ز) .
* عدد الأسطر في الصفحة (٢٨) سطراً .
* عدد الكلمات في السطر (١٨) كلمة تقريباً .
٢ـ نسخة مصورة من الخزانة الحسنية رقم (١١٦١٤) ، وقد رمزت لها بحرف (ب) وهي نسخة غير كاملة حيث تتكون من عشرة أجزاء ، لا يوجد منها سوى ستة اجزاء ووصفها كالتالي :
* نوع الخط : مغربي وسط يميل إلى الجودة .
* عدد لوحات القسم الذي أقوم بتحقيقه : (٧٦) صفحة .
حيث لا يوجد من القسم الذي أقوم بتحقيقه فيها سوى كتاب القراض وكتاب العيوب والتدليس .
كتاب القراض : يقع في (٣٥) صفحة .
كتاب العيوب والتدليس يقع في (٣٥) صفحة .
* عدد الأسطر : (٢٥) سطراً تقريباً .
* تاريخ النسخ : غير مذكور .
* الناسخون : قام بنسخها أربعة نساخ حيث جاء في أول الجزء الثالث ما نصه : "الحمد لله السفر الثالث من ابن يونس على المدونة من عشرة أسفار ، وكلها مصحوبة في ربيعة وكتب عبيد ربه تعالى محمد بن أحمد بن السيد الحسني ، وعبيد ا لله قاسم بن محمد الهاشمي الحسني بن أحمد بن السيد الحسني ، وعبيد ا لله قاسم بن محمد الهاشمي الحسني .. وعبد ا لله تعالى محمد الصديق بالعربي الحسني .
* وعليها تملك عبد الرحمن بن زيدون .
٣ـ نسخة مصورة عن الخزانة الحسنية رقم (٨٢٣١)
وهي عبارة عن جزء واحد يبدأ بكتاب المساقاة وينتهي بنهاية كتاب التفليس ، ووصفها كالتالي :ـ
* نوع الخط : مغربي .
* عدد صفحات القسم الذي أقوم بتحقيقه (١٥٧) صفحة . حيث اشتمل هذا الجزء على جميع الكتب التي أقوم بتحقيقها سوى كتاب جامع القول بالرد بالعيب ، وكتاب الجعل والإجارة .
* عدد الأسطر : ٢٣ سطراً تقريباً .

* عدد الكلمات في السطر الواحد : قرابة (١٦) كلمة .
* تاريخ النسخ : (١١٩٩هـ) .
وهذه النسخة كثيرة السقط والتحريف والطمس وقد رمزت لها بحرف (جـ) .

ثانياً : نسخة مكتبة الجامع الأزهر

٤ـ نسخة مصورة من الجامع الأزهر تحت رقم (٣١٤٦) رواق المغاربة .
وهي مصورة بمعهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى وتحمل رقم (١٦٠) فقه مالكي . وفي ما يلي أقدم وصفاً عنها .
* نوع الخط : مغربي قديم .
* عدد صفحات القسم الذي أقوم بتحقيقه منها (٢٩٦) صفحة .
* متوسط عدد الأسطر في الصفحة : ٢٣ سطراً تقريباً .
* متوسط عدد الكلمات في السطر : (١٤) كلمة تقريباً .
* تاريخ النسخ (٧٣٠هـ) .

وهذه النسخة لا يوجد فيها من الكتب التي أقوم بتحقيقها سوى كتاب العيوب ، وكتاب جامع الرد بالعيب ، وكتاب الصلح ، وكتاب الجعل والإجارة .
وعلى ضوء هذه النسخة تم تسجيل الموضوع ، ثم يسر ا الله الحصول على نسخ أخرى . وقد رمزت لهذه النسخة بحرف (ز) .

ثالثاً : نُسخ جامع القرويين بفاس :

٥ـ نسخة مصورة عن جامع القروين بفاس تحت رقم (١١٢٧) وهي تبتديء من كتاب القراض إلى نهاية كتاب الحمالة ، وأصلها من تجزئة اثني عشر جزءاً ، ورمزت لها بحرف (م) وفيما يلي انعتها لك :
* نوع الخط : أندلسي عتيق .
* عدد صفحات القسم الذي أقوم بتحقيقه (١٥١) صفحة .
يشتمل على الكتب التالية : القراض ، والأقضية .
* عدد الأسطر : (٢٣) سطراً تقريباً .
* عدد الكلمات في السطر : (١٦) كلمة تقريباً .
* تاريخ النسخ : (٧٩٥هـ)[1] .

---

[1] انظر : محمد العابد الفاسي ، فهرس مخطوطات القرويين ، ط : الأولى (الدار البيضاء : أفريقيا الشرق، ١٤٠٠/١٩٨٠م) ، ٣/٢٢٠-٢٢١ .

٦ـ نسخة مصورة عن جامع القرويين بفاس تحت رقم (١/٢/٣٤٢) .

جزء مكتوب عليه الثامن ، وفي رقمه أنه الرابع ، أوله كتاب بيع الخيار ، وآخره منتهى القراض ، وقد رمزت لها بحرف (ك) .

* نوع الخط : أندلسي .
* عدد صفحاته : (٢٢٦) صفحة .
* عدد الأسطر ٣٣ سطراً تقريباً .
* عدد الكلمات في السطر : (٢٣) سطراً تقريباً .
* تاريخ النسخ : (٧٣٤هـ)[1] .

وفيها من الكتب التي أقوم بتحقيقها ما يلي :ـ

العيوب ، الرد بالعيوب ، القراض ، المساقاة ، الجوائح ، الجعل .

وبعد الحصول على صور هذه النسخ ودراستها استبعدت النسخة (جـ) المصورة من الخزانة الحسنية ؛ لأنها كثيرة الأخطاء والتحريف ، والطمس ، وفي حالة إثبات فوارقها سوق تثقل الهامش بفوارق قليلة الفائدة .

على أنّي قد لجأت إليها في حالات منها :ـ

عندما تستبهم بعض الكلمات في جميع النسخ فإني استأنس بها في تقويم النص ، وذلك في مواطن ليست بالكثيرة .

وفيما يلي أعرض المنهج الذي أخذت به في تحقيق الكتاب :

المنهج المعتمد في تحقيق الكتاب :

وضعت نُصب عيني في تحقيق هذا الكتاب منهجاً يمكن تلخيصه في الخطوات التالية :

١ـ محاولة إخراج نص الكتاب سليماً بمقارنة النسخ المتوافرة والمصادر التي اقتبس منها المؤلف ، واختيار النص الأصح دون الاعتماد على نسخة معينة ، آخذاً بمنهج النص المختار والذي يعول عليه حين لا يوجد لدى المحقق نسخة يمكن عَدَّها أصلاً تقابل عليها باقي النسخ .

٢ـ إثبات فروق النسخ في الهامش وقد أغفلت منها الفروق التالية :

أ/ ما لا أثر له في المعنى مثل "عليه السلام" ، "صلى الله عليه وسلم" .

ب/ الاخطاء الإملائية مثل "مالك" ، "ملك" "هؤلاء" ، "هاؤلاء" ، "حتى" ، "حتا" ، "كذا" ، "كذى" .

---

[1] المصدر السابق ، ١/٣٣٥ .

وقد سلكت في بيان السقط في الهامش على إعادة الساقط بين قوسين صغيرين على النحو التالي :ـ

"خفيف" : ليست في (ز) .

أما حين يكون السقط أكثر من ثلاث كلمات فاكتفي بإعادة طرفيه في الهامش على النحو التالي :

"قال .. بجاريتين" : ليست في : (ز) .

والهدف من ذلك الحرص على تنقية النص من الأقواس التي قد تشوش على القاريء ، وتقطع عليه انسجامه مع الكتاب ، وهي طريقة سلكها بعض كبار المحققين .

٣ـ ترقيم الآيات القرآنية مع الدلالة على مكانها في كتاب ا لله .

٤ـ تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب وقد سلكت في أغلبها الطريقة التالية :ـ

إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني في الغالب اكتفي بهما ، فإن لم يكن الحديث مخرجاً فيهما أو في أحدهما فإني أخرجه من الكتب الأخرى ، مع الإشارة إلى أقوال علماء الحديث في حكمهم عليه قدر الإمكان . والتزمت في ذكر الأحاديث بذكر الكتاب ثم الباب ثم رقم الحديث .

٥ـ توثيق النصوص والأقوال التي زخر بها الكتاب من المصادر التي اعتمد عليها المؤلف متى كانت متوافرة موجودة ، فإن تعذر ذلك فإني أوثق النصوص من الكتب الأخرى قدر الاستطاعة والإمكان .

٦ـ التأكد من نسبة الآراء الفقهية إلى الأئمة المجتهدين وذلك بمراجعة كتب الفقه التي عنيت بآراء ذلك الإمام مع مراعاة أن تكون تلك المصادر متقدمة على ابن يونس .

٨ـ مراجعة النصوص التي ذكرها المؤلف أو أشار إليها ومقابلتها مع مصادرها ، وإثبات الفروق في الهامش .

٩ـ شرحت الألفاظ الغريبة والمصطلحات الفقهية التي تحتاج إلى ذلك .

١٠ـ عرّفت بالأعلام الوارد ذكرهم في نص الكتاب تعريفاً موجزاً .

١١ـ وضعت عناوين للفصول والمسائل التي أوردها المؤلف .

١٢ـ قمت بترقيم أبواب وفصول كل كتاب ترقيماً تسلسلياً جاعلاً كل ما أضيفه من عندي بين معقوفتين .

١٣ـ قمت بالتعليق على بعض المسائل التي أوردها المؤلف مستعيناً في ذلك بالمصادر المعتمدة .

١٤ـ تميماً للفائدة ، وتيسيراً للمراجعة وضعت الفهارس التالية :ـ

١ـ فهرس الآيات القرآنية .

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الآثار .
٤- فهرس الأشعار .
٥- فهرس الأعلام .
٦- فهرس الكتب الواردة في الجامع .
٧- فهرس الأماكن .
٨- فهرس القواعد الفقهية .
٩- فهرس المصطلحات الفقهية .
١٠- فهرس الألفاظ المشروحة .
١١- فهرس المصادر والمراجع المطبوعة .
١٢- فهرس المصادر المخطوطة .
١٣- فهرس الموضوعات .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرس الدراسة

رمـــوز واصطـــلاحـــات

* (أ) نسخة الخزانة الحسنية رقم (٣٧٠٠)

* (ب) نسخة الخزانة الحسنية رقم (١١٦١٤)

* (جـ) نسخة الخزانة الحسنية بالرباط رقم (٦/٨٢٣١)

* (ز) نسخة مكتبة الجامع الأزهر رقم (٣١٤٦)

* (ك) نسخة خزانة القرويين بفاس رقم (٣٤٢)

* (م) نسخة خزانة القرويين بفاس رقم (١١٢٧)

* [ ] ما بين معقوفتين تدل على كل ما أضفته من عندي من سقط أو عناوين الفصول والأبواب والمسائل ، وترقيم لوحات المخطوط الموجودة بالجانب الأيسر من صفحات هذا البحث .

* (أ) الموجودة في الجانب الأيسر بين المعقوفتين أشير بها إلى الوجه من لوحة المخطوطة .

* (ب) الموجودة في الجانب الإيسر بين المعقوفتين أشير بها إلى الظهر لوجه المخطوطة .

* [/] الخط المائل الموجود في الصلب و بين المعقوفتين بالجانب أشير به إلى نهاية اللوحة من المخطوط .

كتاب العيوب والتدليس